موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين و التناول القرآني لذلك

المقدمة

يعد الحديث عن المنافقين من أهم القضايا التي تحتاج إلى وضوح وجلاء لأمرها وما ذاك إلا لعظم هذا الأمر على المسلمين وخطره على حياتهم في ماضيهم ومستقبلهم.

والنفاق من أدق الأمور التي تحتاج إلى عناية خاصة في الكتابة عنها وما ذاك إلا لعدم وضوحه وشدة خفائه، ولهذا السبب وما جرى من دراسات عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم منهم في حياته وتعدد الآراء حيالها وتنوعها واختلافها. جاء بحثنا في هذا الموضوع الذي تحريت فيه تصوير مواقفه صلى الله عليه وسلم في كل حادثة معهم ؛ حتى تتجلى للقارئ الصورة الحقيقية التي رسمها صلى الله عليه وسلم للتعامل معهم، واختياره أيسر السبل التي لم تؤثر في مسيرته ولم تستنزف طاقته معهم حيث كان همه مراعاة الظروف وتقديرها؛ لا سيما أن دولة الإسلام كانت في بداية عهدها وليس من الحكمة كسب عداوة جديدة تحد من مسيرتها أو تؤخرها، ولا شك أن هذا من المنهجية التي رسمها المصطفي صلى الله عليه وسلم للمسلمين في مسيرة حياته.

وهذا ما سنتبين دراسته وتحليله في هذا البحث حتى يكون المسلم على بينة من أمره فيما يقول ويفعل فلا هدى أكمل من هديه صلى الله عليه وسلم، ولا نهج أفضل من نهجه، فقد بدت الواقعية واضحة جلية في تعامله معهم، وكان هذا المنهج منذ بداية تأسيس الدولة الجديدة في المدينة، في ظل كثرة أعدائها في الداخل من المنافقين المستترين بالإسلام الذين لم يعرفوا حقيقة الدين فكانوا يستجيبون لكل قريب منهم بحمية القبلية،أو المصلحة الشخصية، والقوى الخارجية التي تتربص بالمسلمين الدوائر، فليس من المصلحة فتح جبهة داخلية تستنزف طاقة المسلمين فيما يمكن تلافيه، وتضعف قوتهم فينال منهم العدو الخارجي.

ومع كل ما سبق فإننا سنرى أن القرآن الكريم قد اتخذ من النافقين موقفا واضحا جليا تمثل في كشف حالهم برد شبههم ومتناقضاتهم، وبيان حقيقة أمرهم، وفساد طوياتهم، وأن نهايتهم ستكون حسرة وألما يعتصرهم وهو ما يجب أن يحذره غيرهم حتى لا يقعوا في شرك ما انغمس به أولئك المنافقين فيدخلوا تحت الوعيد القرآني إذ جعله و الكفر في منزلة واحدة .

و من الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع دراسة الدكتور: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان, بعنوان "ملامح النفاق و المنافقين كما بينتها سنة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم", وقد عنيت ببيان ألوانهم و أصنافهم, ودراسة الشيخ: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني بعنوان "ظاهرة النفاق و المنافقين وخبائث المنافقين في التاريخ" وقد أخذت هذه الدراسة طابع العموم لموضوعات المنافقين.

وأما هذا البحث فله رؤية تختلف عن تلك الدراسات لأنها قصرت التناول على موقف النبي صلى الله عليه وسلم منهم في كافة الأحداث التي جرت بينهم, و أبانت منهجه الواضح في ذلك وهو المعالجة الواقعية لكل المشكلات التي يثيرونها والتحول وفق المرحلة التي يمر بها .

بينما التناول القرآني له صفة خاصة في ذلك, فهو يثرب عليهم في كل أحوالهم, ويحذر من الوقوع في حبائله

التمهيد

أولا تعريف النفاق:

1. النفاق لغة:

قال ابن منظور "والنفقة والنافقاء: جحر الضب واليربوع، وقيل: النفقة والنافقاء: موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج"([[1]](#footnote-1))

ونقل ابن منظور عن أبى عبيدة "سمى المنافق منافقا للنفق وهو السرب في الأرض، وقيل: إنما سمى منافقا لأنه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاءه. يقال: قد نفق به ونافق، وله جحر آخر يقال له القاصعاء، فإذا طلب قصع فخرج من القاصعاء، أو يدخل القاصعاء ويخرج من النافقاء"([[2]](#footnote-2))

1. النفاق اصطلاحا:

"سئل حذيفة ابن اليمان عن النفاق فقال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به"([[3]](#footnote-3))، قال ابن جريح:"المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه،ومشهده مغيبه"([[4]](#footnote-4))

وقال ابن كثير رحمه الله:" النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر"([[5]](#footnote-5)) ، وقال أيضا:" أنهم يتفوهون بالإسلام إذا جاء النبي صلى الله عليه وسلم، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك"([[6]](#footnote-6))

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" هم الذين آمنوا ظاهر، لا باطنا"([[7]](#footnote-7))

و قال السعدي رحمه الله "هم أقوام يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر؛ ليبقى جاههم وتحقن دماؤهم، وتسلم أموالهم"([[8]](#footnote-8))

وقال ابن رجب:"وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة و يبطن ما يخالف ذلك"([[9]](#footnote-9))

ثانيا : فئات المجتمع المدني :

تنوعت فئات المجتمع المدني بسبب الظروف التي عاشها أهل المدينة بعد دخولهم في الإسلام, وانتقال المهاجرين إليها فكانت وفق الآتي :

أولا: أهل المدينة من الأوس و الخزرج الذين استجابوا لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الأولى, ثم من آمن منهم بعد هجرة مصعب بن عمير رضي الله عنه’ ومن جاء إلى المدينة لبيعة العقبة الثانية و الذين عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيمان به ونصرة دينه و حمايته من أعدائه.

ثانيا: المهاجرون إلى المدينة من مكة , أو من غيرها من قبائل العرب المختلفة الذين توافدوا على المدينة لإعلان إسلامهم تاركين أهلهم و أموالهم.

ثالثا: أناس تأخروا في إعلان إسلامهم, فبقوا على الشرك فلما رأوا علو مكانة الإسلام وازدهاره وتقاصر الشرك لم يكن لهم بد من إعلان الإسلام؛ حتى تتوافق حياتهم و المجتمع الذي يعيشون فيه, لكنهم أضمروا الحقد و الكراهة لرسول صلى الله عليه وسلم و للمسلمين، فأصبحوا يكيدون لهم بكل ما يستطيعون.

رابعا: اليهود وهم من ساكني المدينة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها, وهم قبائل بني النضير و بني قريظة و بني قينقاع وغيرهم, وقد كانت مساكنهم داخل حصونهم في المدينة .

وقد نظم النبي صلى الله عليه وسلم العلاقة معهم حين قدم المدينة فوادعهم وكتب بينه وبينهم كتاب واشترط عليهم أن لا يمالئوا عدوه وأن ينصروه على من وهمه و أن لا يقاتل أهل الذمة([[10]](#footnote-10))

ولكن عداوتهم و حقدهم على المسلمين أدى بهم إلى نقض عهودهم ومظاهرتهم لأعداء المسلمين في داخل المدينة من المنافقين, وفي خارجها كقريش و غيرها.

ثالثا: نشأة النفاق:

لم تكن بيئة الدعوة في مكة تناسب نشأة النفاق، فقد كان الوضع العام فيها يدعو إلى إخفاء الإسلام وإظهار غيره حيث كانت سطوة كفار مكة على المسلمين في أوجها، حيث التشديد عليهم والنيل منهم. ولهذا فإن إعلان الكفر بينهم لن يجلب لصاحبه إلا السلامة والعافية.

وعندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ظل بعض أهلها على شركهم وجاهليتهم في بادئ الأمر كعبد الله بن أبي بن سلول ومن تبعه من المشركين و تضامن مع اليهود و جماعة من الأوس و الخزرج([[11]](#footnote-11)) وكانوا يجاهرون بالعداء و الميل لهم لمعاداتهم للنبي صلى الله عليه وسلم, روى البخاري عن عروة بن الزبير قال:"أخبرني أسامة بن زيد, أن النبي صلى الله عليه وسلم, ركب حمارا عليه عليه إكاف تحته قطيفة فدكية و أردف وراءه أسامة بن زيد, وهو يعود سعد بن عبادة في بني حارث بن الخزرج, وذلك قبل وقعة بدر, حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين و المشركين عبدة الأوثان و اليهود, وفيهم عبد الله بن أبي بن سلول, وفي المجلس عبد الله بن رواحة, فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة, خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه, ثم قال: لا تغبروا علينا, فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله, وقرأ عليهم القرآن, فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء, لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقا, فلا تؤذنا في مجلسنا, وارجع إلى رحلك, فمن جاءك منا فاقصص عليه, قال ابن رواحة, اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون و اليهود, حتى هموا أن يتواثبوا, فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم"([[12]](#footnote-12))

فحكي النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة ما ناله من إيذاء ابن سلول له, فما كان من سعد بن عبادة إلا أن قال:"اعف عنه واصفح يا رسول الله , فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك, ولقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوجهوه, فيعصبونه بالعصابة, فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك, فذلك فعل به ما رأيت, فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم"([[13]](#footnote-13))

إذا هو الحقد والخوف من ضياع الزعامة والسيادة, يقول ابن إسحاق:"فأما عبد الله بن أبي فكان قومه قد نظموا له من الخرز ليتوجوه ثم يملكون عليهم"([[14]](#footnote-14)).

حتى كان يوم بدر وما كان فيه من نصر وتمكين للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين, حيث قال ابن سلول ومن معه من المشركين عبدة الأوثان :"هذا أمر قد توجه, فبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام فأسلموا"([[15]](#footnote-15))

رابعا: هل النفاق مستمر في الأمة ؟

النفاق سلوك يمارسه بعض الناس في حياتهم ويمثل حالة في النفس الإنسانية تسببها متطلبات الحياة وشهواتها والانغماس فيها، ولذا يصعب القول: إنه مرحلة مرت من تاريخ الأمة، ولا يمكن تكررها و دعاء النبي صلى الله عليه وسلم المتكرر بالاستعاذة من النفاق قائلا "اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق"([[16]](#footnote-16))

وحديث أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة, ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات, فيخرج إليه كل كافر و منافق"([[17]](#footnote-17)) كل ذلك يؤكد استمراره في الأمة، ومن نافلة القول أن ظروف الزمان التي تكون هذا السلوك تشتد حينا وتقل حينا ولعلها في الأزمان المتأخرة أشد على المسلمين خطرا وذلك لكثرة الشبه، وتنوعها وضعف التواصل مع الوحيين, مما يزيد الخطر على المسلمين في آثارها على عقائدهم ومجتمعاتهم.

ويدعو ذلك إلى اتخاذ منهج واضح بين في التعامل مع أصحاب هذا السلوك بما يخفف من آثارهم على الإسلام ومجتمعات المسلمين، ويجلبهم إلى حظيرة الدين والقناعة به والخلوص من شبه الأعداء المتربصين ، ويخفف على دعاة المسلمين ما يبذلونه من جهود تجاههم, لتبذل فيما لا يرجع بسوء عليهم، ويؤثر في مناحي الحياة الأخرى.

خامسا: هل يعرف المنافقون بأسمائهم ؟

لقد كان النفاق ظاهرة محسوسة في مجتمع المدينة بسبب ممارسات المنافقين التي كانت واضحة في عدائها للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وقد نزل القرآن الكريم بالحديث عن أعمالهم في مواقف متعددة مما يحدد للراصد أعيان أولئك المنافقين وكذا في مواقف النبي صلى الله عليه وسلم منهم كما في أحداث غزوة تبوك حين حرمه .........مسجد الضرار الذي بنوه وحينما اعترضوا ناقته لأغنياء في العودة من تبوك ولهذا معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم لا يمكن نفيها.

ولكن هذه المعرفة لم تكن شاملة لهم فقد جاء قوله تعالى: [وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم]([[18]](#footnote-18)) ومما سبق يمكن القول: إنه لا يمكن القطع بوصف أحد من المسلمين بهذه الصفة، والتعامل معه على ضوئها؛ لأن طبيعتها الستر وعدم الظهور لآخرين والناس مأمورون بالتعامل بالظاهر.

كما أنه يصعب تحديد وتسمية أحد من الناس أنه من المنافقين، والتعامل معه على ضوء ذلك بل يؤخذ الناس بظواهرهم وتترك سرائرهم لخالقهم عز وجل، ولهذا الأمر ايجابية كبيرة في إتاحة الفرصة لهم بالتوبة والإنابة والبعد عن المضادة لهم وما تسببه من إصرار على هذه الخصلة، والبحث عن مسوغات الاستمرار عليها ومناوأة الآخرين بسببها.

سادسا: المنهج في التعامل معهم:

إن الناظر في سيرة المصطفي صلى الله عليه وسلم يدرك أنه قد سن منهجا في التعامل مع المنافقين الذين كانوا بين ظهراني المسلمين في المدينة على وجه العموم. فقد كانوا مع المسلمين في كافة أحوالهم الحياتية في التعامل والاجتماع، وأخذ الحقوق، والالتزام بالواجبات، وشهود الصلاة معهم، ويصلى على جنائزهم وتدفن في مقابر المسلمين، قال القرطبي رحمه الله عند قول الله تعالى:[وإن منكم لمن ليبطئن]([[19]](#footnote-19)) فالمنافقون في ظاهر الحال من أعداد المسلمين بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهذا ما تمثله النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل معهم فكان يأخذ بظاهرهم ويكل باطنهم إلى الله عز وجل([[20]](#footnote-20))، والأخذ بهذا الأمر يدفع ظن السوء بالناس، والذي يولد الفرقة والشحناء بينهم، فالأصل الظاهر منهم, أما الباطن فأمره إلى الله عز وجل. حتى يستقر المجتمع وتهدأ أحواله، كما أنه صلى الله عليه وسلم عانى من تكتل المنافقين في المدينة وكثرتهم، وازدياد إيذائهم للمسلمين، وسعيهم إلى تفكيك المجتمع وتخذيل أتباعهم .

ومع ذلك لم يعدهم صلى الله عليه وسلم قوة عدائية تستحق المواجهة الحربية.وبالمقابل فإن آيات القرآن الكريم والتي تتنزل لتفضح أمرهم، وتكشف خيانتهم، وتحذرهم من الاستمرار في طريق العداوة للمسلمين, كثيرا ما تتضمن إتاحة الفرصة لهم، وتدفعهم للعودة إلى المنهج الصحيح، وقد تخللتها جمل تلهم معنى التعليق على شرط([[21]](#footnote-21)) مثل قوله تعالى:[فإن يتوبوا يك خيرا لهم]([[22]](#footnote-22))، [لئن لم ينته المنافقون]([[23]](#footnote-23))، [إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة]([[24]](#footnote-24)) وقد يرد سؤال عن أسباب تعامله صلى الله عليه وسلم معهم بهذه الطريقة، وعدم تنفيذ أحكام الشرع فيهم.

فقد قال مالك رضي الله عنه:" إنما كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين ليبين لأمته أن الحاكم لا يحكم بعلمه"([[25]](#footnote-25))

وقال الشافعي:"إنما منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الإسلام مع العلم بنفاقهم، لأن ما يظهرونه يجب ما قبله"([[26]](#footnote-26))

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هؤلاء الذين يظهرون الخير والصلاح، ويبطنون النفاق:"تقبل علانيتهم، ونكل سرائرهم إلى الله، فإذا كانت هذه حال من ظهر نفاقه بغير البينة الشرعية فكيف حال من لم يظهر نفاقه؟000 ولهذا قال عليه الصلاة والسلام "إنى لم أومر أن أنقب على قلوب الناس، ولا أشق بطونهم" لما استؤذن في قتل ذى الخويصرة، وقتل رجل آخر من المنافقين قال "أليس يشهد أن لا اله إلا الله؟، قيل: بلى، قال" أليس يصلى؟" قيل: بلى، قال:" أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم" فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن قتل من أظهر الإسلام من الشهادتين والصلاة، ومن ذكر بالنفاق ورمى به وظهرت عليه دلالاته إذا لم يثبت بحجة شرعية أنه أظهر الكفر"([[27]](#footnote-27))

والمتأمل لسيرته صلى الله عليه وسلم مع كبير المنافقين عبدالله ابن أبي بن سلول يرى أنها خالية من الغل و الحقد والانتقام للنفس, وأن الذي يحكمها تلك الظروف التي يمر بها تأسيس المجتمع المدني آنذاك.

فها هو صلى الله عليه وسلم يراعي أحوال قومه في عدد من المواقف ففي غزوة بني المصطلق قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لما أستأذن في قتل ابن سلول جراء محاولته إثارة الفتن و القلائل بين صفوف المسلمين:"كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله, لأرعدت له آنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته"([[28]](#footnote-28))

فراعى النبي صلى الله عليه وسلم أحوال قومه, بعدم رسوخ بعضهم في الإسلام في البداية, أما وقد انجلى الأمر فالموقف عندهم سيختلف.

وفيما يخص ابنه عبد الله فقد عرض على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى قتل والده إن كان في نية النبي صلى الله عليه وسلم ذلك, فكان رده صلى الله عليه وسلم:"بل نترفق به و نحسن صحبته ما بقي معنا"([[29]](#footnote-29))

ولا شك أن هذه الكلمات ستجد صداها عند الابن حينما يرى كيف كان موقفه صلى الله عليه وسلم من والده, مع شدة عبد الله بن أبي بن سلول على النبي صلى الله عليه وسلم, وماذا سيقول آل سلول عن هذا الموقف العظيم من نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم.

توج النبي صلى الله عليه وسلم مواقفه من عبد الله بن أبي بن سلول حينما رحل عن الدنيا, وذلك فيما رواه البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال:"لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله ابن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه قميصه, وأمره أن يكفنه فيه, ثم قام يصلي عليه, فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه, فقال:تصلي عليه وهو منافق, وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟, قال:"إنما خيرني الله, أو أخبرني فقال:(استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم). فقال: سأزيد على سبعين". قال: فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم, وصلينا معه, ثم أنزل الله عليه:(ولا تصل على أحد منهم مات مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله وماتوا وهم فاسقون)"([[30]](#footnote-30))

وما سبق يؤكد أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يتخذ من عبد الله بن أبي بن سلول موقفا شخصيا, وما جرى له عند وفاته يؤكد ذلك فلم يتردد حين طلب منه ابنه عبد الله ثوبه صلى الله عليه وسلم ليكفن فيه, بل سارع وأعطاهم إياه كما أنه صلى الله عليه وسلم استغفر له, بل قال صلى الله عليه وسلم أنه سيزيد على السبعين حتى يغفر له. إنه قلب الرجل الكبير الذي لا يحمل حقدا على أحد, وسعادته سعادة الناس جميعا.

* المبحث الأول:

1. موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين في حرب يهود بني قينقاع في العم الثاني من الهجرة:

كان يهود بني قينقاع حلفاء لعبد الله بن أبي بن سلول, ولهم نشاط تجاري في المدينة, وحين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعوه, فلما وقعت معركة بدر وهزم المشركون, أظهر يهود بنو قينقاع الحسد ونبذوا العهد([[31]](#footnote-31)) .

فأرسل إليهم صلى الله عليه وسلم فجمعهم ثم قال لهم :"يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا" قالوا: يا محمد, لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال, إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس, إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس, وأنك لم تلق مثلنا"([[32]](#footnote-32)) .

ولا شك أنه تهديد صريح منهم, ونقض واضح للعهد الموثوق معهم, ثم توجوا ذلك بالاعتداء على المرأة المسلمة في سوقهم, فجهز النبي صلى الله عليه وسلم جيشه, وحاصرهم خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة فاشتد عليهم الحصار ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأمر بهم فكتفوا ثم كلمه فيهم حليفهم عبد الله بن أبي بن سلول، وألح علي النبي صلى الله عليه وسلم قائلا:"أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة،إني والله امرؤ أخشى الدوائر"([[33]](#footnote-33))

فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن قال له:"هم لك"([[34]](#footnote-34))

وهنا يتجسد لنا كيف أنه صلى الله عليه وسلم وبعد أن حرص عبد الله بن أبى بن سلول،وهو الذي له مكانته الخاصة في قومه بالمدينة،

وقد طلب أمرا يصدق عليه أنه من أمور السيادة للدولة، وتنازل عن أمر عظيم لليهود والذين لازال في المدينة غيرهم مما قد يجرأهم على ممارسة مثل هذا العمل.

وبرغم كل ذلك ما كان منه صلى الله عليه وسلم، إلا أن تنازل عن ما عزم عليه من القتل إلى النفي من المدينة والخروج منها؛ لأنه يدرك ما ستؤول إليه الأمور من فرقة واختلاف في المجتمع المدني, والدولة لازالت في بدايتها، ومن الناس فيها من لم يتحقق بعد ولاؤهم الكامل لها .

ولكن لو جاء هذا الطلب من غير عبد الله بن أبي بن سلول،هل سيقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟0000 أم قد يتغير الموقف؛ لأن عبد لله بن أبي بن سلول،هو بمنزلة الزعيم الذي لازال بعض أهل المدينة يرى له مكانته العظيمة، والتعامل معه يختلف عن غيره للأثر الذي سيدعه الاختلاف معه. أما لو جاء الطلب من عامة الناس فالمتوقع أن مثل هذا الأمر سينظر فيه صلى الله عليه وسلم للآثار المترتبة عليه، ثم من لم يكن منزلة عبد الله بن أبي بن سلول لن يمضى في طلبه ويلح فيه، بل سيؤثر رد النبي صلى الله عليه وسلم ويعدل عن الاستمرار في الطلب.

ب-التناول القرآني لأحداث غزوة بني قينقاع:

لقد كان التناول القرآني لهذا الحدث يؤكد أمرا مهما تحتاجه الأمة في بداية تكون مجتمعها، هو الولاء للمؤمنين بعضهم مع بعض، والبعد عن التولي لغير المؤمنين، مما يضعف وحدة المجتمع وينمى الفرقة بينهم. قال تعالى:(يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح، أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين)([[35]](#footnote-35) ) عني بذلك عبادة بن الصامت و عبد الله بن أبي بن سلول حين تبرأ عبادة منهم وتمسك ابن سلول بهم(2).

قال ابن كثير:" ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله قاتلهم الله, ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض, ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك"(3)

هكذا كشف القرآن الكريم حال المنافقين منذ بداية ظهورهم في مجتمع المدينة، وبين لنا مكانة اليهود عندهم، وأن الأولوية لهم على المسلمين، وأن لهم حلفا,وعلاقة مع اليهود الذين يقدمون لهم العون والنصرة حسب زعمهم ويدعون المسلمين.

هكذا كانت تصوراتهم المقلوبة, ورؤيتهم القاصرة تصل بهم إلى هذه الحالة، بتوقع مستقبل يظهر فيه الكفار على المسلمين, بل ويطمعون بهذا المستقبل ويتمنونه, حتى يحقق لهم مرادهم.

فأبانت الآيات القرآنية مواقفهم, وشنعت عليهم, ولم تدارهم, حتى جاء الفتح وأخليت الدينة من قبائل يهود, وذاقوا وبال الحسرة والندامة, ولم يتحقق لهم أي ثمرة في موالاتهم لليهود, وحرموا لذة موالاة المؤمنين ونصرتهم([[36]](#footnote-36)).

* المبحث الثاني:

أ-موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين في أحداث غزوة أحد:

لقد مرت أحداث تجسدت فيها مواقف المنافقين وكان لها الأثر الفاعل على المسلمين في ذلك الحدث.

لكن موقف النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بعدم اللوم أو المعاتبة لهم، بل صرف أمره إلى الموقف الذي ينتظره من عدوه، ويحتاج فيه لم الشمل، وبذل الجهد والطاقة.

وكانت غزوة أحد في العام الثالث من الهجرة من المواقف التي امتحن المسلمون فيها حيث العدو على مقربة من المدينة، والموقف يستدعى السرعة في اتخاذ القرار, فيستشير النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في ذلك ويستقر الأمر على الخروج من المدينة لملاقاة العدو خارجها. فانطلقوا من المدينة متجهين إلى أحد، وفي الطريق إليها يحدث ما لم يتوقعه أحد فيعلن عبد الله بن أبي بن سلول انه قرر العودة إلى المدينة، وتعلل بأن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرر الخروج من المدينة لملاقاة العدو ترك رأيه وأخذ برأي الغلمان كما يزعم حيث قال:"أطاعهم وعصاني"(2) وهذا الموقف الذي لا يمكن توقع حدوثه في هذا الظرف العصيب مع قرب مكاني للعدو، وتنازل عددي سريع لموعد المعركة، وفي ظل هذا لم يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم واجه ذلك بردة فعل مساوية، وليس ذلك لعدم أهمية الحدث, بل لمراعاة مقتضى الحال لمجتمع تكون حديثا ثلثه لديهم قابلية الاستجابة لذوى النفوس المريضة،حيث قال صلى الله عليه وسلم:"إنها تنفي الرجال كما ينفي النار خبث الحديد"([[37]](#footnote-37))

و الدخول مع المنافقين في مفاوضات لن يوصل إلى نتيجة حاسمة, ولعل موقف عبد الله بن حرام دليل ذلك حينما دعا أولئك المنافقين للعودة إلى المشاركة, فلما تجلى له عدم استجابتهم للعودة إلى الصف قال:"أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه"([[38]](#footnote-38))

ولعظم الحدث وفداحته، اختلف المسلمون فيما يجب أن يتخذ بحقهم

"فرقة تقول: نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم"([[39]](#footnote-39)) فنزل القرآن الكريم يؤكد موقف النبي صلى الله عليه وسلم منهم، والمتمثل بعدم الانشغال بهم، وأن ما حدث منهم أمر متوقع فقال تعالى:( فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا)([[40]](#footnote-40)).

ولم يتوقف الأمر عليهم فقط بل تعداهم إلى غيرهم، وكاد يودى بهم إلى الهلكة, قال تعالى:(إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما]([[41]](#footnote-41))

فكانوا يقولون نحن الذين تولانا الله وهما"بنو سلمة، وبنو حارثة"([[42]](#footnote-42))

ومع كل الاحتمالات المتوقعة من إضعاف لجيش المسلمين، وتأثير على معنوياته رجع عبد الله بن أبي بن سلول إلى المدينة متذرعا بأنه لن يكون هناك قتال، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم عصاه وأطاع الغلمان، وأما فيما يتعلق بجيش أحد فقد رجع ثلثه قبل ملاقاة العدو، وإن أي موقف لاستعادة هذا الثلث ربما يؤدي إلى خسارة الجميع، وهو ما خشيه صلى الله عليه وسلم فترك هذا الثلث يعود إلى المدينة ويبقى ثلثا الجيش معه، ويتجلى للمسلمين برجوعه تحقيق قوله تعالى:(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب)([[43]](#footnote-43))

يقول ابن حجر"إن عادة الرسل أن تبتلى وتكون لها العاقبة كما في قصة هرقل مع أبى سفيان، والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائما دخل في المؤمنين من ليس منهم ولم يتميز الصادق و غيره، ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب، وذلك أن نفاق المنافقين كان خافيا عن المسلمين، فلما جرت هذه القصة، وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول، عاد التلويح تصريحا، وعرف المسلمون أن لهم عدوا في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم"([[44]](#footnote-44))

ولم يتوقف كيدهم للمسلمين حتى بعد المعركة، بل لم يراعوا أحوال الناس بعدها. فذهبوا يرجفون، ويصف ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى:[الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا]([[45]](#footnote-45))

"فيجعلون من تخلفهم حكمة ومصلحة، ويجعلون من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم مغرما ومضرة"([[46]](#footnote-46))

ومع كل هذه الأعمال، وهذا الإضعاف في صفوف الجيش، وهذا الإرجاف، والوصف القرآني لأحوالهم، وبيان عوراتهم يغلب صلى الله عليه وسلم جانب المصلحة العامة، ولا يلتفت لمكيدتهم، وكأنه يقول: إن الوقوف عند أحوالهم يعطل مسيرة الدعوة والجهاد. وقد تحقق لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين مرادهم في موقف الأنصار من عبد الله بن أبي، فكان كعادته لشرفه عند قومه، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب قام فقال:"أيها الناس هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به، وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا. ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواصيه، وقالوا: اجلس أي عدو الله، والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت. فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكنما قلت بجرا أن قمت أشدد أمره"([[47]](#footnote-47))

إن نزول مكانة عبد الله بن أبي بن سلول عند قومه لم تكن من السهولة بمكان، فهو زعيمهم وسيدهم، وحينما تنزع هذه السيادة بسبب هذا الموقف منه فهي مرحلة تبدل عندهم تجاهه بنيت على حقيقة جديدة لديهم، وهي أن صورة عبد الله بن أبي لن تستمر بتلك المثالية السابقة. بل كشف أمره وبان خداعه.

ب-التناول القرآني لأحداث غزوة أحد:

لقد بدأت آيات القرآن الكريم بعرضها عن غزوة أحد بتحذير المسلمين من اتخاذ من يرونهم من أعدائهم من المنافقين بطانة لهم ومستشارين يطلعون على سرائرهمفيتضررون منهم([[48]](#footnote-48)) وبسبب ذلك قال تعالى:[يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر قد بينَا لكم الآيات إن كنتم تعقلون]([[49]](#footnote-49)) فالأصل البعد عنهم وعدم تمكينهم لأن ولائهم ليس للمسلمين, بل لأعدائهم، وهذا سيعفي المسلمين من أذى قد يصيبهم منهم، ولهذا الموقف دلالات لهم وللمسلمين جميعا ليكون حافزا لهم للعودة والإنابة إلى الله ما دام أنه يعرف حالهم، حتى لا يشنع عليهم به فلا مجال بعد ذلك منهم للمخادعة والمراوغة.

وما قررته هذه الآيات من البعد عن تمكين الأعداء فإن ما ترمى إليه أيضا، أن الأمر وإن كان من الخطورة بمكان لكنه لا يحرض على مقابلة الغل والحقد والكراهية بمثلها، بل إن سماحة الإسلام ومحبة الخير للناس جميعا، أن يتقى المرء كيدا من الآخرين لكنه لا يكيد، ولا يغل إلا أن يحارب دينه وعقيدته. فعند ذلك يزيل هذه العقبات التي تصد عن سبيل الله([[50]](#footnote-50))

لقد عرض القرآن الكريم أحوال المنافقين لكشفهم، وفضح أمرهم، وأبان عوارهم. وذلك في ثنايا عرضه لأحوال المسلمين في هذه الغزوة فمن ذلك قوله تعالى:[ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء؟ قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو أن لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم، وليبتلى الله ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور]([[51]](#footnote-51))

لقد أوضحت هذه الآيات الكريمة الفرق بين المؤمنين والمنافقين، وقد تبدى أن المؤمنين غشيتهم الطمأنينة والسكينة وهم قبالة العدو لما أنزل الله عليهم النعاس الذي أرخى سدوله، فباتوا في أمان واطمئنان، وأما غيرهم من المنافقين والذين خرجوا مع المسلمين كمعتب بن قشير و أصحابه طمعا في الغنيمة وخوفا من المؤمنين لم يغشهم النعاس, وجعلوا يتأسفون على الحضور, ويقولون الأقاويل, فكان هدفهم الحياة والاستمتاع بها فكانت أولوياتهم أن يكون لهم قدرة ترفع عنهم ما حل بهم، وخالجت أنفسهم الشكوك والظنون أن سلامتهم تكمن بعدم مشاركتهم للمسلمين في محنتهم وجهادهم، وغاب عنهم حقيقة ناصعة وهى أن الحياة واستمرارها لا علاقة لها بذلك، فهي آجال قدرها الله سبحانه وتعالى على الناس، وهذه المواقف تظهر التباين بين المؤمنين وغيرهم ([[52]](#footnote-52)).

هكذا كان واقع المنافقين في المحن والشدائد، خوف وهلع وتمن وترج وتسويف، وفرار من الواقع، وظن بعدم معرفة غيرهم لهم والأمر خلاف ذلك.

ثم تكتشف حقيقتهم التي لا مرية فيها، فيقول تعالى:[وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون)([[53]](#footnote-53))

ظن المنافقون أن اعتذارهم بعدم المشاركة في أحد سيلقى القبول من المؤمنين، لكن هذه الآيات التي تنزلت كشفت حقيقتهم، وأبانت واقعهم وأن عذرهم ليس هو حقيقة ما تكنه قلوبهم لأن دعواهم أن لا يكون قتال خلاف الظاهر للناس من استعداد قريش لحرب المسلمين، وأن استمرار عداوة الكفار للمسلمين وقتالهم هي في وهجها السابق, ودعوى المنافقين فرار من القتال وتلمس للأعذار التي قد تقبل عند غيرهم, بل طلب منهم الحد الأدنى في القتال وهو المشاركة غير الفاعلة فيه, وهذا ما قاله القرطبي عند قوله تعالى:(أو ادفعوا ) بأن المراد هو تكثير سواد الجيش, فيكون له الأثر الفاعل على معنويات العدو ([[54]](#footnote-54))

المبحث الثالث:

أ-موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين في أحداث إجلاء يهود بني النضير:

يظهر المنافقون كعادتهم أيام المحن والشدائد، فهي التي تكشف أمرهم وتفضح عملهم.

فعندما حاصر النبي صلى الله عليه وسلم بني النضير في العام الرابع من الهجرة وبعد ما كشف الله له خطتهم التي دبروها لقتله، وشدد عليهم الحصار وبدأ بقطع نخيلهم. جاء تحرك المنافقين فقد روى ابن إسحاق قال:" وكان رهط من بني عوف بن الخزرج، منهم عبد الله بن أبي بن سلول، قد بعثوا إلى بني النضير: أن اثبتوا وتمنعوا، فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم"([[55]](#footnote-55))

بل ويزيد الأمر سوءا ما قاله عبد الله بن أبي بن سلول في رواية أخرى: "لا تخرجوا من دياركم، وأقيموا في حصونكم، فإن معي ألفين من قومي من العرب يدخلون معكم حصونكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان"([[56]](#footnote-56))

إنه موقف المنافقين المتكرر من النبي صلى الله عليه وسلم، و كيان المسلمين في المدينة على وجه العموم. فهؤلاء المنافقون هم من رعايا الدولة الإسلامية في المدينة، ويتمتعون بالمواطنة الكاملة بما لهم من حقوق وعليهم من واجبات. ومع كل هذا نراهم في أشد الظروف وأصعبها على المسلمين يسعون إلى ما يثير الفتنة وينمى الفرقة في المجتمع، بل يتجاوزون ذلك إلى ما هو أشد كما في حادثة بني النضير حيث موالاة العدو ومناصرته، ولا نشك أن هذا الموقف لا يمكن تقدير أثره على المسلمين وما ذاك إلا لخطره الذي يتمثل بقيام المنافقين بدعوة اليهود الذين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم، بالخروج من المدينة، لنقضهم العهد وسعيهم إلى قتله صلى الله عليه وسلم، وعدم السماع والاستجابة لما أمر به، ومع هذا الموقف العدائي الذي اتخذه يهود بني النضير من المسلمين لا يتورع عدد من المنافقين عن مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمساندتهم ودعوتهم البقاء في المدينة، وإبلاغهم أنهم ربطوا مصيرهم بهم، فإن ينشب قتال كانوا مع اليهود ومن صفهم، وإن كان الأمر خلاف ذلك وحلت باليهود مشكلة فسيكونون معهم ويخرجون تضامنا لأجلهم، ولا يكتفي المنافقون بذلك بل يصل بهم الأمر إلى الالتزام لهم بأنهم سيدفعون لهم ألفي مقاتل يلتقون وإياهم في المصير الواحد، كما طمأنوا اليهود بإمكانية دعوة قبيلة غطفان لهذه المهمة.

ومع كل هذه المبادرات والوعود من المنافقين بنصرة يهود بني النضير، عجز المنافقون عن تقديم أي شيء لليهود، لما اشتد الأمر وجد الجد, فاستجاب اليهود بما طلب منهم بالخروج من المدينة. يقول ابن سعد :"وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا"([[57]](#footnote-57)).

إن موقف المنافقين يصب في موقع الخيانة العظمى فقد سعوا وألبوا عدو المسلمين عليهم، وواعدوه بالمناصرة والمؤازرة في حرب المسلمين ولم يمنعهم عن ذلك إلا عجزهم عن تنفيذ وعدهم، وكان من المتوقع أن يتخذ منهم صلى الله عليه وسلم موقفا حازما وشديدا بسبب فعلتهم هذه، ولكنه صلى الله عليه وسلم كعادته معهم يغلب جانب العفو والصفح عن أفعالهم ولا يمسهم بسوء، أو يوقع عليهم ما يضرهم، وما ذاك إلا لتقديره صلى الله عليه وسلم أن ملاحقتهم أو تأديبهم قد يجر على المسلمين ما لا يحمد عقباه، فتتجه قوة المسلمين إليه، وتستنزف طاقتهم فيما لا يعود عليهم بالنفع المباشر. ولهذا آثر صلى الله عليه وسلم موقف السكوت عنهم.

ب-التناول القرآني لأحداث غزوة بني النضير:

يعرض القرآن الكريم لأحداث غزوة بني النضير كافة، وبيان أحداثها بالتفصيل، ومن ذلك قوله تعالى [ألم ترى إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا، وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون. لئن أخرجوا لا يخرجون معهم، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم، ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون. لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ]([[58]](#footnote-58))

لقد بدأت الآيات في الحديث عن المنافقين في هذا الموقف بزجرهم بطريقة غير مباشرة، لتعلم الناس جميعا بأن المنافقين واليهود على درجة واحدة في البعد عن الله سبحانه وتعالى، فهم إخوان لليهود وكفي بهذا الوصف زجرا لهم وتوبيخا على سلوكهم بأن جعلهم والكفار على مستوى واحد.

ثم عرض للملأ جميعا ما أقدم عليه المنافقون من عمل يوحى بانعدام ولائهم، وذلك بدعوتهم بني النضير بعدم الاستجابة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بالخروج من المدينة بعد تمردهم ونقضهم للعهد الذي كان معهم.

ولقد أكد المنافقون لإخوانهم يهود بني النضير التزامهم بكل ما يترتب على عدم خروجهم، وأنهم ربطوا مستقبلهم معهم فإن خرج اليهود سيخرجون معهم وإن دعا الأمر إلى قتال سيقاتلون معهم، إنها الموالاة للعدو والمعاداة للمسلمين.([[59]](#footnote-59))

إنها جريمة كبرى ارتكبها المنافقون، فلم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم، ولا لأصحابه، ولا لمجتمع المدينة أي قيمة عندهم، بل هم مع عدوهم في كل ما يعلى من شأنه ويضعف أمر المسلمين و ليتهم يقولون ذلك وهم في موقع خارج المدينة، كلا بل هم بين ظهراني المسلمين، إنه موقف بشع لا يمكن تصوره إلا من ألد الأعداء حيث مناصرة اليهود، ومعاونتهم. فيقرر القرآن الكريم حقيقة يجب أن يعلمها المسلمون, أ، رهبة المسلمين في نفوس أولئك المنافقين, وإخوانهم اليهود أشد رهبة من الله, ولذلك فهم في ضغار أمام المسلمين, ولهذا حكمته العظيمة بأن يتراجع أولئك القوم عن ما يكيدون من سوء وضرر للمسلمين.

وعلى الرغم من ذلك كان من الممكن إعلان الحياد من قبلهم في هذا الظرف للمسلمين، لكن هذا لم يقع, بل ميل لا حد له، وعداوة ملء القلوب.

ها هو ذا موقفهم الذي يصعب تصوره لخطره وقبحه، نراه صلى الله عليه وسلم لم يتخذ إجراء بحقهم، ولم يقم بمحاكمتهم جراء فعلتهم وخيانتهم.

وما كان ذلك ضعفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل هو عين الحكمة والحرص على تماسك الصف المسلم، وعدم إعطاء أي فرصة لهدم ذلك البنيان.

وكان موقف القرآن واضحا في فضح أعمالهم، وكشف مؤامراتهم وخياناتهم، وعرض حالهم ومستوى تأثيرهم، وأنهم واليهود على مستوى واحد في هذا الجانب فلا ينخدع أحد بهم .

وهذا يعطى الدلالة على أن كشف السلوك الخاطئ، وبيان خطره وأثره على المسلمين والتحذير من الوقوع هو منهج القرآن الكريم في كل مواقفه من المنافقين.

ثم تتواصل الآيات فتشبه العلاقة القائمة بين اليهود والمنافقين تشبيها بليغا, وذلك في قوله تعالى:(كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين)([[60]](#footnote-60)).

قال ابن كثير:" مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين, وقول المنافقين لهم لئن قوتلتم لننصرنكم, ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال, تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة, فإذا دخل فيما سوله له تبرأ منه وتنصل, وقال:"إني أخاف الله رب العالمين"([[61]](#footnote-61)).

* المبحث الرابع:

1. موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين في أحداث غزوة الخندق:

وتكررت مواقف المنافقين في أيام الشدائد والمحن كما في غزوة الأحزاب، التي ما إن علم صلى الله عليه وسلم بتحزب الأحزاب لحربه من قريش وقبائل عربية أخرى مثل غطفان وغيرها, حتى استشار أصحابه صلى الله عليه وسلم، واستقر رأيهم على أن يبقوا في المدينة، ويحصنوها من العدو، وأخذ صلى الله عليه وسلم برأي سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق حولها.

وقد لاقى الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وهم يحفرون الخندق معاناة كبيرة، وكان أشدها ما قام به المنافقون في هذه المرحلة الحرجة والتي تحتاج من الجميع التعاون وتوظيف الجهود والطاقات لإنجاز مشروع الخندق بالسرعة الممكنة التي تجعل العدو يبهر بما يراه من تلك التحصينات فتؤثر في عزيمته.

إلا أن صورة المنافقين كانت في أقبح مظاهرها، فقد تأخروا عن المجيء للعمل مع المسلمين في الخندق، ومن جاء منهم كان أداؤه في مستوى ضعيف، وزاد على ذلك أنهم لا يطيلون الإقامة في هذا العمل، بل مع ضعفهم يتكلفون الأعذار التي تجعله صلى الله عليه وسلم يأذن لهم بالعودة، بل بعضهم لا يحتاج إلى هذا الإذن، فيتسلل بعيدا عن أعين الناس إلى مسكنه داخل المدينة([[62]](#footnote-62)) .

ولا يتوقف أثرهم على المسلمين في هذا الموقف العظيم على ما سبق من تخاذلهم أثناء حفر الخندق، بل تجاوز الأمر بتثبيط همم المسلمين، وتشكيكهم في موعود الله لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أثناء حفر الخندق، حينما بشر المسلمون بفتح بلاد الروم والفرس والشام واليمن .

وذلك سعيا منه صلى الله عليه وسلم للرفع من معنويات أصحابه، وتأكيدا على أن المستقبل للإسلام مهما حلت بهم من ظروف.

لكنه لما ضيق العدو على المسلمين من كل جهة، وعظم البلاء عليهم واشتد الخوف بهم وبدأت الظنون تصل إلى الناس، وجدها المنافقون فرصتهم فقال بعضهم:" كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط"([[63]](#footnote-63))

إنها كلمة عظيمة الأثر سريعة التأثير، فهي طعن في رمز الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، وتكذيب له في قوله، ومعارضة صريحة لما يخطط له في هذا اليوم العصيب، وفي ظل هذه الظروف, وهذه المعاناة, يصل بالمنافقين حد المعاندة، وعدم الاكتراث بالظرف الدقيق، الذي يمر به الناس، إلى الخروج من ساحة المعركة متعللين بما لا يوافق العقل ولا الواقع الذي يعيشه ويواجهه الناس في ذلك اليوم، وذلك بقولهم: إن بيوتنا عورة فهم يخشون عليها من العدو، ولأنها حسب زعمهم مكشوفة للعدو، ولا تجد من يحميها منهم، وهذا دلالته لبث الضعف والوهن في صفوف المسلمين والأمر خلاف الواقع، فلا يعد هذا الأمر ذريعة لهم للخروج من ساحة المعركة، وما يقع عليهم يقع على غيرهم, لكنها عادتهم في أوقات المحن والأزمات لا يستطيعون الثبات مع المسلمين، بل هم مع العدو لأنها فرصتهم التي يعلنون بها مواقفهم المخزية، ومع ذلك لم يقع عليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء، فاتجه النبي صلى الله عليه وسلم يعالج إرجافهم الناس، فقد أخرج البيهقي عن ابن فليح قال:" فلما اشتد البلاء على النبي صلى الله عليه وسلم نافق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيه الناس من البلاء والكرب، جعل يبشرهم ويقول: والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة، وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمنا، وأن يدفع الله عز وجل إلى مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز وجل"([[64]](#footnote-64))

أما سؤالهم عن مقالتهم، أو إيقاع عقوبة بسبب فعلتهم، فهذا مما لم يقع منه شيء فما أن سئل أحد منهم عن مقالته التي زلزل بها الناس إلا ونفى نسبتها إليه.

وكان يقبل صلى الله عليه وسلم أقوالهم، وهذه هي مواقفه صلى الله عليه وسلم منهم في أحوالهم كافة. فيعمد إلى معالجة الأشياء التي تخلفها أعمالهم، ولا يوقع بهم أدنى عقوبة تناسب أعمالهم المشينة، وله صلى الله عليه وسلم حكمته في ذلك. وإلا فمن المتوقع أن تنصب لهم المحاكم جراء فعلتهم هذه، ويوقع عليهم الجزاء. ولكنه صلى الله عليه وسلم آثر عدم الالتفات إليهم، أو مجازاتهم على أفعالهم، واتخذ جانب الصبر في ذلك، مما أثمر كراهة الناس لهم، وتماسك الجبهة الداخلية للمدينة التي تحتاج إلى ذلك في ظل التطورات المتلاحقة على المسلمين جراء تكالب الأعداء عليهم من كل جانب.

وما أحوج مجتمعات المسلمين اليوم إلى محاكاته صلى الله عليه وسلم في منهجه العظيم في التعامل مع أولئك القوم، أو غيرهم وتقدير الأولويات في ذلك.

1. الموقف القرآني من أحداث المنافقين في غزوة الخندق:

سار القرآن الكريم على منهجه في معالجة أحداث المنافقين بسرعة التناول لها، وذلك بالرد المباشر عليها وبيان حقيقة الموقف الذي يزعمون وكشف باطنهم الحقيقي للمسلمين، والتشنيع على أساليبهم ومقتها والتحذير منها.

فمن ذلك قوله تعالى كاشفا حالهم ومجليا لأمرهم: [وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا]([[65]](#footnote-65)). هذا هو الوصف الحقيقي لهم، منافقون، وقوم في قلوبهم مرض ليسوا أسوياء بل تهيمن عليهم تلك الصفات الذميمة، تحركهم داخل الصف الإسلامي، ولن تؤتى أكلها، والناس يعرفونهم ويسمونهم بتلك الصفات التي تلحق الذم بهم وبأمثالهم، وهو من التشنيع عليهم لكشف ما يدبرونه للمسلمين.

ويتنزل الوحي على المصطفي صلى الله عليه وسلم ليؤكد حقيقة المنافقين وسعيهم الدائب لإتباع أنواع الوسائل التي تنال من وحدة المسلمين. فما لم تنفع المخاطبة ببيان تمكن العدو من المسلمين، عمدوا إلى أسلوب آخر قال تعالى: [ وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا]([[66]](#footnote-66)) . الدعوة باسم المدينة القديم([[67]](#footnote-67)) ليقولوا للناس أنها هي الجامع وليس غيرها.

إنه نداء من المنافقين لغيرهم من أهل المدينة أن ستؤذيكم الحرب، ودعوة للفرار من عسكر النبي صلى الله عليه وسلم([[68]](#footnote-68)) ليرجعوا إلى ديارهم ويتحصنوا بها، ويحفظوا أموالهم أن ينالها العدو، وهذا من جهلهم بحقيقة المؤمنين، فظنوا مشابهتهم في سلوكهم، ثم هم يريدون ستر أنفسهم، والظهور أمام النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين أنهم معهم، ولذا عمدوا إلى الاستئذان، لكن علتهم في الاستئذان بكشف أهليهم وذويهم للعدو ليست بصحيحة، فرد الله عز وجل ذلك بقوله تعالى: [ وما هي بعورة ]([[69]](#footnote-69))

والقرآن يقرر حقيقة يراها الناس جميعا، وهي من أشد الوقع على النفس ولا شك في أثر الأسلوب القرآني في فضح المنافقين، وكشف زيغهم وخداعهم للناس جميعا حتى يحذر الناس من هذا السلوك فيجتنبوه.

قال سبحانه وتعالى: [إن يريدون إلا فرارا]([[70]](#footnote-70)). إذن هذه حقيقة سبب المغادرة لمعسكر المسلمين، إنه الخوف، فهذا الحالة هي السبب الحقيقي فلا يستطيع المنافق أن يجازف بحياته فدنياه أهم عنده من آخرته.

ولابد من كشف حال المنافقين والتثريب عليهم، وإدانة ممارستهم، يقول تعالى عنهم: [ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا]([[71]](#footnote-71)) إنها صورة تحكي التناقض الذي يعيشه المنافق في شخصيته وهو تلازم لا ينفك عنه، فيدعي الحماية لنفسه ولأهله ويدع المرابطة مع العدو، ولكنه في حقيقة الأمر لا يتردد في الاستجابة لطلب الفتنة وهي الكفر. إنها صورته الحقيقية التي لا تتفق والمنطق، فهل يقبلها أحد لنفسه؟

إنه منهج القرآن الكريم في التحذير من ممارسات أهل النفاق حتى لا يقع أحد في شركها .

ويستمر القرآن الكريم في تقريع المنافقين، وكشف أمرهم، وبيان زيغهم. قال تعالى: [ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا]([[72]](#footnote-72))

إنه التزامهم مع الله عز وجل بالثبات أمام العدو، وعدم التولي عنه، إذ إن التولي، من كبائر الذنوب التي لا يليق بالمؤمنين مقارفتها

قال تعالى:[يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار. ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير]([[73]](#footnote-73))

فهو سلوك لغير المؤمنين من المنافقين وأمثالهم الذين لا يترددون عن مفارقة المعصية أيا كان نوعها، بل لا يجدون في ذلك حرجا منهم، وما يعلمون أن ما يودون الهروب بأي ثمن منه، هو أمامهم ليأخذهم إلى ما فروا منه، قال تعالى: [قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا]([[74]](#footnote-74)) فمع هذه الآمال التي عقدوها بالنجاة من الموت، وهذا الجهد الذي بذلوه في سبيل ذلك من تغطية لأهدافهم، وإظهار لخلاف نياتهم جاء القرآن الكريم ليقول لهم وللناس جميعا أن ما يسعى إليه أولئك القوم هو عمل لا تقبله العقول، ولا المنطق الصحيح فهو لا يساوي النتيجة التي يرجى أولئك القوم من الوصول إليها لأنها وإن تأخرت قليلا لابد من تحققها. فكيف تجيز لهم أنفسهم هذه الأعمال والتقديرات؟

ثم يستمر العرض القرآني الكريم في بيان افتقارهم لله سبحانه وتعالى، وأنه مهما تصوروا الاستغناء عنه فإن ذلك وهم يتوقعونه، قال تعالى:[قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا]([[75]](#footnote-75)) فأنتم أيها المنافقون أيها المتخاذلون تخطئون التقدير في حقه سبحانه وتعالى، فلو أراد بكم جزاء، أو رحمة فلا يمكن لأحد أن يردها, وكأن فيها رسالة لهم بالعودة إلى الله حتى ينالوا رحمته سبحانه وتعالى، وأنه مهما وقف معهم من يظنون أنه سيرد عنهم ما سيوقعه الله بكم فلن يستطيع أحد ذلك أبدا.

ثم تختم هذه الآيات ببيان أنه لا أحد يستطيع سوى الله عز وجل أن يحقق لهم الموالاة والنصرة.

قال تعالى في كتابه العزيز: (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا. أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا)([[76]](#footnote-76)) . التعويق من صفات المنافقين, وهو رد الناس عن المشاركة في أعمال الجهاد فيسعون إلى طلب الراحة والدعة من أقاربهم, ويفرون من شدة المعارك وبأسها, ثم يبادرون بالحضور عند تقسيم الغنائم, مع عدم مشاركتهم في القتال, ويسعون بكل ما يستطيعون لينالهم نصيب منها, وذلك بكل الأساليب المناسبة من حسن الحديث وبيانه, وادعاء المشاركة, والجزع من أن لا ينالوا شيئا من هذه الغنائم([[77]](#footnote-77)). وهم قبل ذلك يظهرون أنهم أعلام في البعة للحرب وحفر الخندق, ولكن نهايتهم أليمة, ومهما تزينوا أمام البشر فإن الله محبط أعمالهم, ومنتظرهم بموعود أليم.

ثم ختمت الآيات بقوله تعالى:(يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا)([[78]](#footnote-78)). فهم لا يستطيعون المواجهة حين قل العدد ويتمنون لو أنهم في البادية بعيد عن الصراع مع العدو, وحقيقتهم أنهم لو دخلوا في المعركة فمشاركتهم محدودة؛ لجبنهم وخذلانهم, وضعف يقينهم([[79]](#footnote-79)), فهذه أمنياتهم وهم بعيدون عن المعركة والمشاركة فيها فكيف لو كانوا بداخلها ماذا سيقولون؟

* المبحث الخامس:

1. موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين في أحداث غزوة بني المصطلق:

وقد وقعت هذه الغزوة في السنة الخامسة حين بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجتمعون له بزعامة الحارث بن ضرار([[80]](#footnote-80)) فخرج إليهم فلقيهم على ماء يسمى المريسيع, فاقتتل معهم المسلمون وهزموهم, ونالوا منهم أسارى وأموالا, وقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم من جويرية بنت الحارث, وعند ذلك سارع الناس للإحسان إلى أسراهم ([[81]](#footnote-81))

لقد أثار المنافقون في غزوة بني المصطلق فتنة كادت تعصف بالمسلمين،وتثيرفيهم خلافا يعيد عليهم صورا من حياة الجاهلية.

إلا أنه صلى الله عليه وسلم وبما عرف عنه من حكمة وتقدير للأمور، وحسن إدارة لها رفع عن الناس آثار هذه الفتنة.

وقد بدأت هذه الفتنة كما رواها البخاري عن جابر رضي الله عنهما يقول:"كنا غزاة فكسع([[82]](#footnote-82)) رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار, فقال الأنصاري:يا للأنصار, وقال المهاجري: يا للمهاجرين, فسمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم , قال :"ما هذا". فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار, فقال الأنصاري: يا للأنصار , وقال المهاجري: يا للمهاجرين, فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوها فإنها منتنة" . قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أكثر, ثم كثر المهاجرون بعد. فقال عبد الله بن أبي: أوقد فعلوا, والله لئن رجعنا

إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل, فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق, قال النبي صلى الله عليه وسلم:"دعه, لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه" ([[83]](#footnote-83))

ثم عمد صلى الله عليه وسلم إلى خطوة يرى أنها علاج لما حل بالناس من عصبية كادت تعصف بهم جميعا ليذهب بما في نفوسهم.

فقد روى ابن إسحاق قال:"مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما، وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي"([[84]](#footnote-84))

إن ما وقع من المهاجرين والأنصار حادثة يمكن توقعها في أي تجمع بشري, وقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بمعالجته بحكمة ودراية .

ولكن ما بدر من عبد الله بن أبي، وانتهازه لهذه الفرصة وهو ما تجاوز به حدود الأدب والأخوة مع إخوانه المهاجرين، وحديثه الذي طوته سماحة الإسلام ويسره بعد أن من الله به على الناس.

فما قال أيضا من كلام كان من الممكن أن يقضي على أواصر المحبة، والعلاقة الحميمة التي تجمع بين أفراد الصف المسلم لولا حكمة النبي صلى الله عليه وسلم بالتعامل مع كلمة ابن سلول حينما قال"والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك"([[85]](#footnote-85))  وليؤكد ما نقله عنه زيد بن أرقم([[86]](#footnote-86)) حين قال:"لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"([[87]](#footnote-87)) فهو ما زال يأمل بتحقيق مراده بخروج المسلمين المهاجرين من المدينة لتكون الولاية له.

ومن يدقق النظر في مقولته هذه يدرك عظمها وخطرها على المسلمين، لما تضمنته من دعوة إلى الفرقة والخلاف والتنكر للنبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه المهاجرين، وقد تجد هذه المقالة صدى عند غيره من ذوى النفوس المريضة بالموافقة عليها.

ولقد بادر النبي صلى الله عليه وسلم إلى السرعة في علاج الموقف فأمر الناس بالرحيل من مكانهم وسار بهم حتى أجهدهم المشي، ثم نزلوا فناموا فور نزولهم.

وخطوته هذه صلى الله عليه وسلم يريد بها تغييب الحادث عن أذهان الناس، فينشغلوا بغيرها وعند ذلك يزول ما في نفوسهم من نزاع وخلاف، فتهدأ وتنمو علاقاتهم وهو ما تحقق بعد ذلك فيهم.

ولقد كانت الفرصة قائمة في أن يحاسب النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بن سلول، لا سيما أن ابنه عبد الله عرض على النبي صلى الله عليه وسلم القيام بقتل والده إن كان يهم بذلك ليوقع عليه ما يستحق جزاء فعلته هذه التي لو تركت ستؤثر في نفوس الناس، وحطمت العلاقات بينهم، فكان رده صلى الله عليه وسلم بأنه سيتحمل كل ما يمكن أن يقوم به من أذى له صلى الله عليه وسلم وللمسلمين، حيث قال صلى الله عليه وسلم:"بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقى معنا"([[88]](#footnote-88))

وهذا الموقف من النبي صلى الله عليه وسلم تجاه عبد الله بن أبي بن سلول، أعطى الصورة الواضحة عن طبيعة موقفه وأثره على الأنصار بعد ذلك فلم تعد مكايد المنافقين تظهر للرسول صلى الله عليه وسلم وحده، بل تجمع المدينة بكاملها على ذلك، وهذه إحدى نتائج حسن إدارته صلى الله عليه وسلم للمواقف مع المنافقين.

وهذا ما عناه صلى الله عليه وسلم بقوله لعمر رضي الله عنه:"كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله، لأرعدت له آنف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري"([[89]](#footnote-89))

ولهذا يمكن القول أن النبي صلى الله عليه وسلم تدرج في التعامل مع المنافقين، فلم يبدأهم بالصد والتعنيف، بل تحمل مواقفهم وعالج آثارها البادية على أصحابه، وكسب بعدها الموقف من الأنصار الذين ربما يكون لهم رأى في صاحبهم للوهلة الأولى، ولكنه صلى الله عليه وسلم بحسن إدارته لهذا الموقف دفعهم للوقوف مع المسلمين في صد أذى المنافقين عنهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية " أنه عليه الصلاة والسلام كان يخاف أن يتولد من قتلهم من الفساد أكثر مما في استبقائهم وقد بين ذلك حين قال: لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه، إذا ترعد لهم آنف كثيرة بيثرب. فإنه لو قتلهم بما يعلمه من كفرهم لأوشك أن يظن الظان أنه إنما قتلهم لأغراض وأحقاد، وإنما قصده الاستعانة بهم على الملك كما قال: أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه اقبل يقتلهم. وأن يخاف من يريد الدخول في الإسلام أن يقتل مع إظهاره الإسلام كما قتل غيره، وقد كان أيضا يغضب لقتل بعضهم قبيلته وأناس آخرون فيكون سببا للفتنة، وأعتبر ذلك بما جرى في قصة عبد الله بن أبي لما عرض سعد بن معاذ خاصم له أناس صالحون، وأخذتهم الحمية حتى سكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم"([[90]](#footnote-90))

ومن ذلك تتضح حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع المنافقين، بتغليب المصلحة العليا للدولة الإسلامية، والحرص على تماسك الصف، وتجنب ما يولد الفتن والقلاقل.

1. التناول القرآني لأحداث غزوة بني المصطلق:

أما الموقف القرآني من تلك الأحداث فهو وصف دقيق لها في ظاهرها وباطنها، فلا يستطيع المنافق ولا غيره أن يكتم شيئا مما قاله أو فعله.

فمن ذلك أنه كشف فعلتهم الحقيقية في هذه الغزوة وأثبت مقالة عبد الله بن أبي بن سلول، وأكد صدق زيد رضي الله عنه فيما قاله عنهم، قال تعالى: [هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون]([[91]](#footnote-91))

فأثبتت هذه الآية عدم الحاجة إلى ما عندهم من نفقة وغيرها، بل أكدت أن خزائن السماوات والأرض لله عز وجل، ولكن الجهل وعدم

الثقة، وانعدام البصيرة هو الذي جعل المنافقين يتوهمون إلحاق الضرر بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

بل جاء المقطع الآخر عنهم في قوله تعالى: [يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون]([[92]](#footnote-92))  توهموا أن العزة بكثرة المال والأتباع،

فبين الله أن العزة والمنعة والقوة له([[93]](#footnote-93))

هكذا قد تتوهم النفوس المريضة أن لها قوة ولها مكانة، وتغفل عن قوة العزيز الجبار. فهو إيحاء أن ما عندهم لا يساوى شيئا مقارنة بما عند الله، وكيف انتهى الأمر أن ابن عبد الله بن أبي بن سلول هو الذي يمنعه من دخول المدينة حتى يأذن له صلى الله عليه وسلم.

إنها دروس عملية تقرع المنافقين، وفيها خزي أعمالهم وأفعالهم فهل يرتدعون؟

* المبحث السادس:

أ-موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين في حادثة الإفك:

1. التعريف بالحادثة

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرع بين زوجاته عند سفره فمن وقع عليها الاختيار صاحبته في سفره فوقع على عائشة رضي الله عنها في غزوة بني المصطلق وفي العودة إلى المدينة أثناء راحة الجيش قامت عائشة رضي الله عنها بقضاء حاجتها وتأخرت في العودة إليه لأنها أضاعت عقدها فلما رجعت وجدت الجيش قد ترك مكانه ولم يعلم بها من أوكل بحملها لخفة وزنها فظن أنها في الرحل. فلما لم تجد أحدا اضطجعت في مكانها لعلها تفقد فيعاد إليها فأخذتها نومة, فلم توقظها إلا قول صفوان بن المعطل إن لله وإنا إليه راجعون , حيث كانت مهمته تفقد مكان الجيش بعد رحيله. فما كان منه إلا أنه تنحى حتى ركبت عائشة رضي الله عنها وجاء بها إلى المدينة في وضح النهار([[94]](#footnote-94))

1. دور المنافقين في حادثة الإفك وآثارها:

لقد استغل ابن سلول رأس النفاق هذه الحادثة وأخذ ينشر حديث الإفك ويشيعه ويستوشيه, وتبعه في ذلك إخوانه المنافقين, ومن استزلهم الشيطان من أهل الإيمان, قالت عائشة رضي الل عنها : "وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي بن سلول.

قال عروة: أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده, فيقره ويستمعه ويستوشيه. وقال عروة أيضا: لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت, ومسطح بن أثاثة , وحمنة بنت جحش"([[95]](#footnote-95)).

قال القرطبي:"وكان الذي يجتمع إليه فيه ويستوشيه ويشعله عبد الله ابن أبي بن سلول المنافق, وهو الذي رأى صفوان آخذا بزمام ناقة عائشة فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها, وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل وكان من قالته حسان بن ثابت, ومسطح بن أثاثة, وحمنة بنت جحش"([[96]](#footnote-96))

كادت هذه الفتنة أن توقظ نيران العصبية الجاهلية بين القبائل بعدما اقتلعها الإسلام في نفوس العرب وحينما قام صلى الله عليه وسلم على منبره ينادي المسلمين بأنه لن يلام لو اتخذ أمرا بشأن من آذاه في أهله الذين لم يعلم عنهم إلا خيرا ثم أوضح أن من اتهم في أهله رجل معروف بأمانته ودينه يعني صفوان بن معطل. فما كان من سعد بن معاذ رضي الله عنه إلا أن قام وأعلن أنه لا يلوم أحدا على ذلك فإن كان من الأوس فهم مستعدون بإيقاع الجزاء عليه وإن كان من الخزرج فهم على أتم الاستعداد فعل ما يأمرهم به فكان سعد بن عبادة عنيفا على سعد بن معاذ وكأن الحمية أخذته أن يتدخل في قومه وقال : لاتقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حضير مناصرا لسعد بن معاذ وقال: لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين بعد ذلك تعالت الأصوات وزاد الخلاف بينهم حتى هموا أن يقتتلوا . فما كان منه صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر إلا أن سكتهم حتى سكتوا.

3-حديثه صلى اله عليه وسلم مع عائشة رضي الله عنها عن الإفك:

قالت عائشة رضي الله عنها:"وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في أمري في شأني بشيء, قالت: فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس, ثم قال:" أما بعد, يا عائشة, إنه بلغني عنك كذا وكذا, فإن كنت بريئة, فسيبرئك الله, وإن كنت ألممت بذنب, فاستغفري الله وتوبي إليه, فإن العبد إذا اعترف, ثم تاب, تاب الله عليه" . قالت: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة, فقلت لأبي: أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عني فيما قال, فقال أبي: والله ما أدري ماأقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فقلت لأمي: أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال, فقالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم , فقلت أنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا, إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به, فلئن قلت لكم: إني بريئة لا تصدقوني, ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني, فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال:" فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون"([[97]](#footnote-97))([[98]](#footnote-98))

4-البراءة لعائشة رضي الله عنها من تلك الفرية:

ويأبى الله إلا أن يظهر الحق وتنقشع الظلمة, وينخذل أهل الإفك والكذب, فتقول عائشة رضي الله عنها:" فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه, ولا خرج أحد من أهل البيت, حتى أنزل عليه, فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء, حتى إنه ما يتحدر منه من العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه, قالت: فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك, فكانت أ,ل كلمة تكلم بها أن قال:" يا عائشة أما والله قد برأك". قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه, فقلت: والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله عز وجل, قالت وأنزل الله تعالى"إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم "([[99]](#footnote-99)) العشر آيات, ثم أنزل الله تعالى هذا في براءتي"([[100]](#footnote-100)).

5- معالجة النبي صلى الله عليه وسلم لحادثة الإفك:

تمثل النبي صلى الله عليه وسلم لو إنه من عامة الناس الذين قد يقع عليهم مثل ذلك. فكان موقفه التأني في معالجة الأمر, مع الأخذ بالأسباب المتاحة له .

وقد تناولها صلى الله عليه وسلم بمنطقية وواقعية واضحة مع عظم أمرها, وشدة وقعها على النفس لآثارها المترتبة عليها, وهو ما يعرفه الناس إلى اليوم بردة الفعل المضادة لمثل هذه الأمور والتي لا تتحملها إلا الأنفس الشريفة الطاهرة.

والنيل من كبير القوم ليس مثل النيل من غيره لا سيما إذا كان بمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم, حيث جاء بمنزلة إسقاط لشخصه فيأمر يعرفه المجتع العربي في الجزيرة بأنه أسوأ ما يوصف به إنسان, فضلا عن أن الشريعة الإسلامية جاءت بنصوصها المتعددة لتنتقي المجتمع وتحفظه منه لخطره على أسسه. ومع معاناته صلى الله عليه وسلم, وأهل بيته وعشيرته والمسلمين جميعا في المدينة, ومبادرة بعض الأنصار بطلب تأديب هذه الفرية ولو كان أقرب قريب منهم, وذلك حرصا على مشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم, وتهدئة لخاطره, وتحصينا للمسلمين من قبول مثل هذه الإشاعة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وحين نزل القرآن الكريم ليصد هذه الفرية, ويعلن فشل المنافقين في تحقيق أي مكسب فيها .كان من المأمل وقد انجلى الأمر أن ينال المنفقون جزاؤهم على فعلتهم هذه, لاسيما أنهم في هذه المرة قد تجاوزوا الحد في الإيذاء, وما ذاك إلا لشدة عداوتهم, وسعيهم الدائب لإفشال هذا المشروع الجديد, ولكنه صلى الله عليه وسلم ومع تحمله لتلك المعاناة وشدتها على نفسه لم يحمله ذلك على التشفي ممن أوقع به, بل كان حليما صابرا فلم ينتقم لنفسه في حياته صلى الله عليه وسلم, ولهذا أخذ بالظاهر له ممن حاك في تلك الفرية, ولم يسأل, ولم يتعقب من كان له دور فيها, ولا أدل على ذلك ممن يعلم أنه المحرك لها, كبير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول, إذ لم ينله أي عقاب فيها لأنه حرص على عدم الظهور في كل المراحل, ولو بحث عن أدلة تدينه في ذلك لوجدت, ولكنه صلى الله عليه وسلم قدر الأمور قدرها, وأخذ بما ظهر له فيها, وأنزل العقاب على نفر من المسلمين([[101]](#footnote-101)) كانوا ضحية لمآرب وخطط عبد الله بن أبي بن سلول, وكأنه يقول للجميع: احذروا من الانسياق وراء هذا الرجل, فيطالكم العقاب الدنيوي قبل الأخروي. وبقى صاحب الفرية وأعوانه في أمان من أي عقاب.

قال ابن القيم رحمه الله:" بل ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته كما ترك قتله مع ظهور نفاقه, وتكمله بما يوجب قتله مرارا, وهي تأليف قومه, وعدم تنفيرهم عن الإسلام , فإنه كان مطاعا فيهم, رئيسا عليهم, فلم تؤمن إثارة الفتنة في حده , ولعله ترك لهذه الوجوه كلها"([[102]](#footnote-102))

هاهو تعامله صلى الله عليه وسلم مع ألد أعدائه وفي أشد مواقفهم العدائية وأعظمها خطرا عليه. يمضي جانب الحق, ويستصحب العفو والصفح في أشد ما يعانيه منهم.

فهل اقتفى المسلمون أثر ذلك في مواقفه من غيرهم, بل في مواقفه من إخوانهم سواء أكانوا دعاة في سبيل الله أم علماء , فينيرون للناس طريق حياته في مختلف جوانبها , وعندما تضطرهم الظروف إلى الاختلاف في سبيل الحياة ومناحيها.

ب-التناول القرآني لحادثة الإفك:

جاء التناول القرآني لحادثة الإفك ملأكدل طهارة المجتمع ونقائه من كل الأرجاس والأدناس , فأبانت هذه الآيات أنه لا يمكن الحديث في الأعراض إلا في إطار محدود جدا وفق آلية واضحة لا تقبل الشك سواء كان ذلك بالشهود الأربعة أو في الملاعنة بين الزوجين .

ثم انتقل للحديث عما رميت به أم المؤمنين رضي الله عنها بقوله تعالى:" إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لاحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل أمرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم"([[103]](#footnote-103)). فبدأ بالطعن في فريتهم وأنه إفك افتروه من عند أنفسهم, إذ لم تكن الحادثة مظنة السوء, حيث قدمت أم المؤمنين رضي الله عنها مع صفوان بن المعطل في وضح النهار, وأمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان هناك ريبة لما أظهروا بتلك الصورة الواضحة. ثم جاء قوله تعالى:" لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم "([[104]](#footnote-104))

وأي أمان للمجتمع المسلم , وللعائلة المظلومة, بعد طمأنتهم لأن ما حسبوه شرا لهم كان خيرا, لسان صدق في لدنيا, ورفعة في منازل الآخرة, وإظهار شرف باعتناء الله عز وجل بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها,

حيث أنزل فيها قرآن يتلى إلى يوم القيامة([[105]](#footnote-105)) بعدما جهل عبد الله بن أبي وغيره من المنافقين باستغلالهم لهذا الحديث, وتوظيفهم له للنيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم , واعتبارهم أنها حادثة تقسم الظهر فبدد القرآن كيدهم وجعل ما ظنوه ربحا عظيما لهم , وجاء خسارة عليهم, لأن الله عز وجل اعتبره للمسلمين على قصدهم, أي خسارة أعظم من هذا فميدان الأخلاق هو ركن عظيم في حياة الأمة المسلمة , ولو سبقوا فيه لتوالت على المسلمين آثاره فيما بعد , ولكن الأمر جاء بخلاف ذلك([[106]](#footnote-106))

ثم كشف القرآن العظيم من الذي كان وراء هذا الأمر , قال تعالى:" والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم"([[107]](#footnote-107))

وكيف أن الأمر لم يكن حاضرا في أذهان الناس , إذ أن زعيم المنافقين هو من تولى خلق هذه الفرية بين المسلمين, ثم بذل جهده لنشرها بينهم, حتى وقع في شركها بعض المؤمنين دون دراية منهم لما يخطط هو وأعوانه.

ولم يدع القرآن الكريم المسلمين في ظل تلك الظروف على مواقفهم تلك من هذه الفرية, فقال تعالى:" لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين"([[108]](#footnote-108))

فدعاهم إلى الظن الحسن بإخوانهم المسلمين, وعدم الاستجابة لدعاوي المنافقين, وأن رحمة الله لهم هي ما منعت وقوع العذاب عليهم جراء فعلتهم هذه, وفريتهم الكبرى على أم المؤمنين, وأنه جدير بهم أن يسلموا بنزاهة بيت النبوة وأن لا يداخلهم شك في ذلك. وحذرهم من الوقوع فيه مرة أخرى لما يسببه ذلك من جهد يبذله المسلمون, وذلك في غير محله, ومعاناة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته, ومزايدة على طهارة المجتمع المسلم .

ثم تأتي الآيات القرآنية بعد ذلك لتأكد عظم هذه المقالة, قال تعالى:" إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم"([[109]](#footnote-109)). إن المتلقي لها لو تدبرها , وعظم دلالتها لمقتها, ولكن عطل عقله واستقبلها بلسانه, فلم يدرك بعد خطورة ما يتحدث به , والسامع يظن أنه قد خلى من الوعي والادراك, وأن مبعث ذلك الظن, لسهولة ما يتحدث به وغفل عن

آثاره المترتبة على النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته, كيف لا , و الله عز وجل يقول إن ذلك عظيم عنده وكفى بذلك درجة([[110]](#footnote-110)) .

ثم ختمت الآيات بقوله تعالى:" ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم . يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين"([[111]](#footnote-111)). توجيه واضح لعظم ما قيل , وهو أن هذا الأمر يجب أن يكون الموقف منه الإعراض عنه لعظم وفداحة خطر الحديث به. ولكن يجب أن يعي الناس في ها الشأن العظة والعبرة فلا يعود للحديث مثله مرة أخرى . ولكن الاستجابة لا تكون إلا للمؤمنين, أما غيرهم فيكرر الخطأ المرة تلو المرة.([[112]](#footnote-112))

ومع كل ذلك وخطره والآثار المترتبة عليه , بل ومعاناته صلى الله عليه وسلم فيه طوال شهر كامل, وكان بالإمكان أن يشير بإنزال العقوبة على المتسبب بهذه الفرية, لكنه لم يظهر للناس دوره الفاعل في ذلك وتوارى خاف بعض المسلمين المخدوعين, وكان ذلك نجاة له من العقوبة التي نالها غيره , فرسول الله صلى الله عليه وسلم يتعامل بالظاهر ولا يفتش عن خفايا الناس, وهو المنهج الذي يجب على المسلمين في كل أحوالهم معرفته والسير عليه وفق أصوله المعتمدة شرعا .

ولم يكن يريد صلى الله عليه وسلم الدخول معهم في أزمة ربما تنقلب آثارها على مجتمع المدينة الجديد فتتصدع العلاقات وتنشأ الإحن والاختلافات بما يعوق تقدم المجتمع في مختلف جوانب الحياة.

وأما الأمر الأساس قد تحقق وهو براءة بيت النبوة مما نسب إليه, فعرف ذلك القاصي والداني. فتقدير المصلحة واعتمادها في التعامل هو ما رجحه النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القضية المهمة, وما ذاك إلا ليدعوا الناس إلى عدم التشفي من الخصوم وترك باب التوبة , والإنابة مفتوحا ومما له آثار عظيمة على المجتمع من زيادة تعاونه وتآلفه, والبعد عن ما يشيع الفرقة والخلاف فيه.

* المبحث السابع:

1. موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين في أحداث غزوة تبوك:

بلغ صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة من الهجرة, أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام, وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة, وأجلبت معه لخم و جذام وعاملة وغسان, وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء([[113]](#footnote-113)). وقال ابن كثير:" فعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتال الروم لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله"([[114]](#footnote-114))

فبادر النبي صلى الله عليه وسلم " فجلى للمسلمين ليتأهبوا أهبة غزوهم, فأخبرهم بوجهه الذي يريد"([[115]](#footnote-115))

يمكن أن نعد ما جرى مع المنفقين في غزوة تبوك مرحلة جديدة بدأها الرسول صلى الله عليه وسلم باتخاذ مواقف جازمة ضد فسادهم وهي تتواءم وطبيعة واقع الناس في ذلك اليوم الذي أصبح للمسلمين فيه قوة وهيمنة على مناطق كثيرة في الجزيرة وغيرها.

لقد تعددت أدوار المنافقين في غزوة تبوك، فحين استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس للخروج، ورغبهم في ذلك، عمد المنافقون إلى القعود وعدم الخروج مع المسلمين بل كان لهم دور في تثبيط الناس ودعوتهم لعدم الخروج، فقد قال قوم من المنافقين بعضهم لبعض:"لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد، وشكا في الحق، وإرجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم"([[116]](#footnote-116))

"فجاء أناس منهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليستأذنوه لعدم القدرة في الحر، فأذن لهم صلى الله عليه وسلم وأعرض عنهم"([[117]](#footnote-117))

وجاء المخلفون "فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له, وكانوا بضعة وثمانين رجلا,فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم, وبايعهم واستغفر لهم, ووكل سرائرهم إلى الله"([[118]](#footnote-118)) هذا موقفه صلى الله عليه وسلم الذي يرى منه عدم التحقيق والتدقيق فيما يخص المنافقين، فلم يطالبهم بتأكيد صحة دعواهم عدم القدرة على الخروج بل قبل علانيتهم وترك سرائرهم إلى الله.

ومم أفعالهم السخرية واللمز للمتصدقين من المسلمين لإعداد هذه الغزوة، فقد جاء أحد المسلمين ليتصدق بصاع من تمر، وجاء آخر بمال كثير فلمزوهما بقولهم: " إن الله لغنى عن صدقة هذا وما فعل هذا الآخر إلا رئاء "([[119]](#footnote-119))

لم يتوقف كيدهم في مجال واحد، بل سارعوا إلى كل ما يحقق مرادهم وكأنهم قطعوا على أنفسهم أن لا يهنأ لهم عيش إلا بإفساد كل أمر للمسلمين،وحيث إن من مستلزمات هذه الغزوة المبادرة بالإنفاق، والصدقة فيها، كان المنافقون يرون أن ذهاب المسلمين في تلك الغزوة عزة ومنعة لهم، والتوقف عن النفقة عليها هو تأخير لها، فكان منهم تحقير القليل الذي ينفقه غير المستطيع، واتهام الأثرياء بالرياء، وما ذاك إلا لصد الناس عن الخير والمشاركة.

وعلى الرغم من ذلك كله لم يتوجه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم بالحساب أو المساءلة على فعلتهم هذه، وذلك وفق تقديره صلى الله عليه وسلم للمصلحة.

ولقد ظهرت صورة للمنافقين تبين المرحلة التي وصلوا إليها من كيدهم للإسلام والمسلمين، مما يدل على أن ذلك لم يكن وليد ساعته، بل هي مرحلة سبق إليهم السير فيها وإن لم تكن ظاهرة للمسلمين، فقد وصل بهم الأمر إلى عقد الاجتماعات وترتيب اللقاءات وإعداد الخطط للكيد للمسلمين في غزوة تبوك.

" فقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي، يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة. فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت، فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه فأفلتوا "([[120]](#footnote-120))

فلماذا كان هذا الموقف منه صلى الله عليه وسلم تجاه المنافقين؟

وهل حالة المسلمين في الاستعداد لهذه الحرب هي التي فرضت عليه هذا الموقف؟ أم أن الصورة التي ظهر بها المنافقون في الكيد للمسلمين من التجمع والإعداد والتخطيط هو ما استدعى موقفه منهم صلى الله عليه وسلم؟ أم أنها مرحلة جديدة في التعامل مع المنافقين، حيث زالت المحاذير التي كانت تمنعه من اتخاذ مثل هذا الموقف؟ وأظن أنه يمكن القول أن تلك الظروف مجتمعة هي التي أوصلت إلى هذه المرحلة الجديدة في التعامل، فالموقف دقيق في هذه المرحلة، والمنافقون تجاوزوا الحد في تنفيذ خططهم ومآربهم.

وواقع الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين في المدينة من جميع الأحوال قد تغير، فقوة المسلمين واضحة، وصوت المنافقين لم يعد له ذلك الصدى في المدينة وما حولها . وبالرغم من ذلك لا يدع المنافقون أي موقف يمكن أن يكيدوا به للمسلمين، أو يضعفوا صفهم إلا قاموا به. فبينما خلف صلى الله علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أهله، وأمره بالإقامة في المدينة وعدم السفر، لبعد المسافة وقوة العدو الذي سيواجهونه في تبوك "أرجف المنافقون بعلي رضي الله عنه وقالوا: ما خلفه إلا استثقالا له، وتخففا منه، فلما قالوا ذلك أخذ علي رضي الله عنه سلاحه وخرج حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فأخبره بما قالوا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذبوا ولكنى خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك"([[121]](#footnote-121))، "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه ليس نبي بعدى"([[122]](#footnote-122)) فرجع علي إلى المدينة.

وهذه الحادثة هي في سياق ما يسعى إليه المنافقون من تكدير صفو مجتمع المدينة، فلا تفوت عليهم حادثة، أو موقف إلا انتهزوه لتحقيق مرادهم في النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وإلا فإنه يمكن القول أن استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه هو أمر خاص بينهما أوجبته الروابط الأسرية، ليبقى على رضي الله عنه في المدينة جوار أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسعى المنافقون لاستغلاله، من أجل الكيد للإسلام وأهله وحامل رسالته صلى الله عليه وسلم، فلا يريدون أن يدعوا أي أمر يكدر على المسلمين فرادى وجماعات إلا ووظفوه في مكايدهم.

فكان منهم هذا الإرجاف بعلي رضي الله عنه، للنيل منه، وذلك بنقل أخبار كاذبة في شأن استخلافه في المدينة، أنه ما أبقى فيها إلا لثقله على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد نفى صلى الله عليه وسلم كل هذه الأقاويل، وأبان له أنه ما دعاه إلى البقاء إلا لخلافته في أهله، بل جعله مشابها في هذه المهمة لنبي الله هارون مع موسى عليهما السلام، إلا أنه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم.

وليست هذه أول محاولة لهم في هذه الغزوة، ولا آخر محاولة في إحداث الفتن بين المسلمين، ومع هذا فإنه صلى الله عليه وسلم لم يتخذ إزاءهم موقفا تأديبيا. بل كان موقفه وفق مواقفه السابقة منهم, وسيتكرر ذلك أيضا في مواقف لهم كبيرة التأثير كما في الاجتماعات التي يتربصون بها للمسلمين.

ومن مواقفهم في هذه الغزوة تخلفهم المعلن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد خرج عبد الله بن أبى بن سلول مع عدد من أصحابه وعسكر خارج المدينة بجوار معسكر المسلمين، وكأنه أراد بهذه الخطوة جذب من يستطيع في آخر لحظة من المسلمين، ليتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعاد على الناس دعواه السابقة وغيره من المنافقين والتي يرون أنها عذرتهم من المشاركة في الجيش"فما أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو تبوك، تخلف ابن أبى راجعا إلى المدينة فيمن تخلف من المنافقين، حتى قال: يغزو محمد بنى الأصفر مع جهد الحال، والحر والبلد البعيد إلى ما لا طاقة له به، يحسب محمد أن قتال بنى الأصفر معه اللعب، والله لكأنى أنظر إلى أصحابه مقرنين في الحبال"([[123]](#footnote-123))

إن هذا الموقف من عبد الله بن أبى بن سلول قد يظن منه أن الناس سيرون منه استعداد للخروج، ومشاركة لهم في أشد ظروفهم غزوة تبوك، ولكنه رمي من ذلك كما يظهر سعيه في آخر لحظة إلى جذب الناس إليه، فهو لا يكتفي بعدم الخروج. بل ذهب مع الناس الذين تغلبوا على كل ظروفهم، واستعدوا للمشاركة ليقول لهم: أننا لا نمانع من المشاركة، ولكن ليس في هذا الوقت، فكيف يغزو صلى الله عليه وسلم بحسب زعمه بني الأصفر، مع ضعف حال الناس، وشدة الحر التي يمرون بها، والبلد الذي يراد الوصول إليه بعيد.

فهذه الظروف بحسب زعمه ستكون نتائجها وخيمة على المسلمين، وربما أنه قد يسر لها، وهو ما عبر عنها بقوله: والله لكأني أنظر إلى أصحابه مقرنين بالحبال"، وهى كناية عن هزيمة ساحقة كما يزعم ستقع عليهم، ولا شك أنه بهذا التعبير يأمل أن يستجيب له من عزم على الخروج ويعود معه، وما يعلم أنه لن يقع تحت تأثيره إلا أمثاله من المنافقين، ولكنه وبعد هذه المدة من التربية مع النبي صلى الله عليه وسلم قد زاد المسلمون ثقة وأملا بنصر الله عز وجل, وازدادوا قناعة بعدم السماع لمن يرى عليه أثر النفاق بمخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي الطريق إلى تبوك تتجدد منهم الموقف، فكأن بعض المنافقين لم تعنهم الظروف على البقاء، أو أنهم قصدوا مرافقة الجيش، وتعمدوا استغلال كل حالة للتشكيك في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي المسلمين، وكان أحدهم الجلاس([[124]](#footnote-124)) بن سويد يقول" والله لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير"([[125]](#footnote-125)) إنها عبارة تنم عن سوء نية وقبح طوية، فقد تمادوا في حربهم نيلا من الرسالة ومن صاحبها.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال:"قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا, ولا أكذب ألسنا, ولا أجبن عند اللقاء؟"([[126]](#footnote-126)).

ولهذا لم يقبل منه صلى الله عليه وسلم الاعتذار مع شدة إلحاحه وتذلّله، حيث كان متعلقا بناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحجارة تدمى قدميه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرفض قبول اعتذاره، وكأنها مرحلة جديدة في التعامل معهم فمن قبل كانت مطالبهم لا ترد، وهاهو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى أحدهم في حال ضعف شديد، ومع ذلك يرفض قبول اعتذاره.

وتكررت أذيتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، فحينما استغاث رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ونزل المطر جاء المسلمون للمنافقين يذكرون لهم عظم هذه الآية فكان الرد بقول:"سحابة مارة"([[127]](#footnote-127)) أي لا معجزة فيها.

وحين طفق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يبحثون عن ناقته قال أحد المنافقين:" أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدرى أين ناقته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده:" إن رجلا قال: إن محمدا هذا يخبركم أنه نبي، وهو يزعم أنه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته وإنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله، وقد دلنى عليها، وهى في الوادى من شعب كذا وكذا حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوا بها، فذهبوا فجاءوا بها"([[128]](#footnote-128))

هكذا هى عداوتهم للإسلام، فليس المراد الوقوف أمام أعمال آنية التنفيذ. بل هى العداوة المستحكمة ضد الرسالة وصاحبها للتشكيك في معجزاته بل وطعن في مصداقيته ورسالته، فلا يأتى حدث إلا ويبادرون باستغلاله وتوظيفه في مقاصدهم.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم يعلم ما بدر منهم، ويرد عليهم بمنطقية وحكمة، ويقرر لحقيقة الرسالة، ونبذ لشبههم عليها، ولا يلتفت إلى تأديب لهم جراء أفعالهم، فهل واقع سير الجيش، وانشغال الناس تجعله لا يلقى لأشخاصهم بالا، حتى لا ينشغل الناس بما هو دون همهم فيؤثر ذلك على مسيرتهم؟000000

لقد توج المنافقون أعمالهم ومكائدهم ضد النبي صلى الله عليه وسلم وهو عائد من تبوك بتدبير محاولة لقتله،"فقد قال أسيد بن حضير: يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادى؟ فقد كان أسهل من العقبة، فقال رسول الله صلى الله: أتدرى ما أراد المنافقون وما هموا به؟ قالوا: نتبعه من العقبة، فإذا أظلم عليه الليل قطعوا أنساع راحلتى ونخسوها حتى يطرحونى عن راحلتى، فقال أسيد: يا رسول الله، قد اجتمع الناس ونزلوا، فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذي هم بهذا، فيكون الرجل من عشيرته هو الذي يقتله، وإن أحببت- والذي بعثك بالحق- فنبئنى بأسمائهم فلا أبرح حتى آتيك برؤسهم. قال: يا أسيد إنى أكره أن يقول الناس إن محمدا قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم"([[129]](#footnote-129))،وفي رواية أخرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسيد:" إنى أكره أن يقول الناس أن محمدا لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين، وضع يده في قتل أصحابه فقال: يا رسول الله، فهؤلاء ليسوا بأصحاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أليس يظهرون شهادة أن لا اله إلا الله؟ قال: ولا شهادة لهم، قال أليس يظهرون أنى رسول الله؟ قال بلى ولا شهادة لهم، قال: فقد نهيت عن قتل أولئك"([[130]](#footnote-130))  قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمة الله"أن عامتهم لم يكن ما يتكلمون به من الكفر مما يثبت عليهم بالبينة، بل كانوا يظهرون الإسلام، ونفاقهم يعرف تارة بالكلمة يسمعها الرجل المؤمن، فينقلها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيحلفون بالله أنهم ما قالوها أو لا يحلفون، وتارة بما يظهر من تأخرهم عن الصلاة والجهاد واستثقالهم للزكاة، وظهور الكراهة منهم لكثير من أحكام الإسلام"([[131]](#footnote-131))

وبهذا يتجلى لنا موقفه صلى الله عليه وسلم منهم. فمع هذا الجرم العظيم الذي ارتكبوه، وهى المؤامرة على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وعقابه في كل القوانين هو القتل لشناعتها وبشاعتها.

ولكنه صلى الله عليه وسلم حتى في هذا الجرم يؤكد على أمر هو منهجه معهم، وأكثر ما ظهر لنا في أخر أيامه وبالذات في هذه الغزوة، أنه يكافح ما يظهر له منهم من عمل كيدى يأخذ وضعا تنظيميا، كما عمل في البيت الذي يجتمعون فيه خلال الاستعداد لغزوة تبوك، أو في تنفيذ أمر الله عز وجل بشأن مسجد الضرار.

لكنه صلى الله عليه وسلم لم يوقع على أحد منهم عقوبة جراء عمل قام به، وها نحن نرى الآن أنهم قد توجوا أعمالهم، ومكائدهم في قتله، والتخلص منه صلى الله عليه وسلم، حتى كما يظنون يفتح الأمر لولايتهم.

ويدعو أسيد بن حضير، وهو من زعماء الأنصار إلى تنفيذ العقوبة اللازمة لهم. مما يعنى أن جانب الأنصار لن يخشى منه على قتلهم، ومع ذلك تأتى نظرته صلى الله عليه وسلم لتتمتع بالشمولية، ويحسب للأعداء الذين يتربصون بالأمة أن يوظفوا مثل هذا الحدث أو غيره، فيقول صلى الله عليه وسلم: إنى أكره أن يقول الناس إن محمدا قاتل ليقوم، حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم فقتلهم.

إنها رؤية للمستقبل، وحسبا للأمور، وعدم مجازفة فيها، وتقدير مقولة قد يقولها العدو قبل الصديق، مراعيا مقتضى الحال فيها والنظرة المستقبلية للحياة ومستجداتها، وليس ردة الفعل الآنية التي تشفي قلوب الناس وتترك أثرا في مستقبل الأمور.

وتركهم لعقاب الله سبحانه وتعالى، حيث قال صلى الله عليه وسلم :" إن في أصحابى اثنا عشر منافقا، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة([[132]](#footnote-132))، وأربعة لم أحفظ "([[133]](#footnote-133))

كما كان من أعمالهم في هذه الغزوة، بناء مسجد الضرار فقد روى البيهقى" أن ناسا من الأنصار ابتنوا مسجدا، فقال لهم أبو عامر([[134]](#footnote-134)): ابنوا مسجدكم، واستمدوا ما استطعتم من قوة وسلاح، فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتى بجند من الروم، فأخرج محمدا وأصحابه"([[135]](#footnote-135))

هذا مسجد الضرار صورة من صور الكيد والحرب ضد المسلمين في المدينة، ولم يكن هذا العمل من السهولة بمكان، فهو تعاون مع عدو خارجى ضد كيان الأمة بأكملها، وهو إخراج للنبى صلى الله عليه وسلم من المدينة وأصحابه، وذلك لأن حربهم لا هوادة فيها أبدا، وليس لهم حد في هذه العداوة سوى الإخفاء من الوجود، وليس لديهم تردد في البحث عن أى وسيلة تحقق لهم ذلك حتى ولو كانت تسمى بأقبح المسميات . وما كان تعاونهم مع الروم، وبنائهم لمسجد الضرار إلا صورة من هذه الصور القبيحة.

فماذا كان موقفه صلى الله عليه وسلم من هذه المكيدة والخيانة، هل تتبع أفراد هذه المجموعة، وأنزل العقوبة عليهم، أم عرضهم على محاكمة جزاء لهم؟00000 لم ينلهم شيء منه على الإطلاق، وأقصى عمل قام به صلى الله عليه وسلم، أن أمر بهدم ما دعى أنه مسجد وهو مجمع الولاء للعدو، ومركز الخيانة للمسلمين، وهو بهذا قد قضى على مركز الخيانة، لكن أفرادها سيبقون يحملون الأذية للمسلمين في أى مرحلة تناسبهم، أو في مجال يرونه إمكانية الدخول فيه وتوظيفه لأهدافهم، وهو أمر لم يغب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه يرى أن نتيجة إيقاع العقوبة عليهم أشد وأنكى على المسلمين من تركهم دون عقاب، كما أن توالى الأحداث منهم يجعلهم ينحصرون في نطاق ضيق، ولا يستطيعون إيقاع الأذية على المسلمين بشكل عام بل سيبقى أثره محدودا عليهم.

1. تناول القرآن الكريم لمواقف المنافقين في أحداث غزوة تبوك:

لقد بدأت مواقف المنافقين في تخذيل المسلمين حينما بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الصدقة من أجل تجهيز جيش تبوك، فتسارع الناس للنفقة كل منهم على قدر حاله، فما كان منهم إلا أن لمزوهم على نفقتهم، فنزل قوله تعالى [الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم]([[136]](#footnote-136))

لقد سخر الله من صنيعهم هذا، ولا شك أن سخرية الله منهم أشد وأنكى من سخريتهم لغيرهم، بل لقد توعدهم سبحانه وتعالى بالعذاب الأليم جزاء فعلتهم هذه، والتي ربما يظنون أنها كلمة لا تساوى شيئا، ولكن لها أثرها في التخذيل، فجاء هذا الرد المباشر من الله سبحانه وتعالى ليكون رادعا لهم عن أعمالهم المسيئة.

ومع موضع آخر شنع القرآن الكريم على المنافقين تخلفهم عن الغزو، وعن المساهمة مع الجيش، وما دعوا الناس إليه بعدم الخروج متعللين بشدة الحر، قال تعالى [فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون. فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون]([[137]](#footnote-137))

فما توقف أمرهم عند عدم المشاركة، بل دعوا الناس للتخلف، معللين ذلك بشدة الحر، فكان الرد القرآنى مخزيا لهم ورادعا، إذ قال الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم "قل لهم نار جهنم التي تصيرون إليها بمخالفتكم أشد حرا مما فررتم منه من الحر"([[138]](#footnote-138))

وإن ضحكوا، فضحكهم قليل لأنه مقرون بهذه الدنيا القصيرة، ولكن سيأتى البكاء الطويل الذي لا ينقطع لأنه مقرون بالآخرة.

هكذا الموقف القرآنى صريح وواضح، فهذا هو الجزاء جراء فعلتهم.

ثم أبان القرآن الكريم حالهم، وما لبس عليهم الشيطان من أنهم يعملون العمل فيصدقهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتخذون الإيمان ذريعة لهم حتى تصدق أعمالهم، لكن الله عز وجل نزل آيات تكشف زيغهم، وتفضح مكرهم، قال تعالى [ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين أمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم]([[139]](#footnote-139))

والآيات الأخرى تكشف عن اتخاذهم الأيمان والحلف ظنا منهم أنها ستكون سترا لمعايبهم، ولكن القرآن الكريم فضحهم، وأبان حالهم، قال تعالى [يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين. ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم]([[140]](#footnote-140))

وهنا أبان لهم أن عملهم المحاد لله ورسوله جزاءه جهنم، فليحذر المنافقون وغيرهم من ملابسة هذه الأمور حتى لا يقع في عقوبتها.

وفي تناول للقرآن الكريم عنهم في معرض الحديث عن غزوة تبوك، أبان الله عز وجل عن أمر يخشونه ويخافونه وهو كشف أحوالهم وكيدهم للناس، ولهذا سميت "الفاضحة"([[141]](#footnote-141)) لهم لأنها لا تفضح العمل بل تفضح القلب وما يحتويه من كيد ومكر.

قال تعالى [يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون]([[142]](#footnote-142))

إن مرحلة الحديث عنهم بهذه الصيغة تأخذ تحولا جديدا، فهو إعلان عليهم بكشف كيدهم وفضحهم، وهو بلا شك أمر يحذرونه ويقاسون ألمه الشديد عليهم عندما يتلى القرآن وهو يكشف عن أمر حسى يدبرونه للمسلمين، فيحذر الناس من الوقوع فيه، وتظهر صورتهم التي يسعون إلى تجميلها فيكون بذلك الحذر، وهو ما يقلل من خطرهم على مجتمعات المسلمين.

ويزداد الموقف منهم شدة وحنقا، إذ يعرض القرآن الكريم موقفا منهم وهم يقطعون الطريق إلى تبوك بحديث عن المسلمين، واتهام لهم بأوصاف لا تليق بهم، قال تعالى [ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين]([[143]](#footnote-143))

حتى القول منهم لم يعد يعفي عنه بل كشف للناس، وأنه عمل مخرج من الإسلام، ولا عذر لمن عمله، لأنهم يستحقون العذاب عليه جزاء فعلتهم وشناعة عملهم.

تلك عبارات قوية وأوصاف مباشرة لهم ، ومع هذه القوة تجاههم إلا أن باب التوبة والإنابة مفتوح فليدخل منه من أراد العفو.

ثم جاء سياق الآية التي تعكس موقف النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته، قال تعالى [استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين]([[144]](#footnote-144)) إنه نهى الله عز وجل لنبيه عن قبول أعذارهم، أو الاستغفار لهم لأن ذلك لم ينفع معهم بل ازداد شرهم وأذاهم، وهذا ما تكشف عن حقيقة أمرهم، وأن نفوسهم لم ينفع معها رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بهم، وهو السلوك الشاذ الذي لا يلائمه إلا الجزاء جراء هذه الأعمال.

ثم توالت الآيات التي تكشف عن ما تكن قلوبهم، وتفضحهم على الملأ، فقال تعالى [فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله 000000]([[145]](#footnote-145))

فقد أبان فساد قلوبهم من الفرح بالتخلف عن الجهاد بعكس المؤمنين الصادقين الذين حل بهم الحزن لعدم مشاركتهم فشتان بين الفريقين، ولا شك أنهم لا يستطيعون إعلان فرحتهم أمام الملأ، ولهذا جاؤا كغيرهم يعتذرون عن عدم الخروج، وهذه من شدة التناول القرآنى عليهم، وهكذا كرههم للجهاد أو الإنفاق، مشاعر تخالج نفوسهم فكشفها القرآن الكريم للناس، وأوضح لهم أن ذلك هو السبب الذي دعاهم أن يقولوا لا تنفروا في الحر، لأن مبتغى رضوان الله عز وجل لن يعيقه ذلك من المشاركة في الجهاد، ، ولهذا قالوا بأن الخسران حال بهم لحرصهم على ملذات الدنيا وبذلك يكونوا قد غفلوا عن الدار الآخرة.

وقد ختمت الآيات في هذه الغزوة بقوله تعالى [فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستئذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين]([[146]](#footnote-146))

فلا مجال لهم للمشاركة في أى مشروع جهادى قادم، فما بدا منهم من التخلف عن المشاركة، وتثبيط الناس هو ما حدد نوع العلاقة معهم بالمقاطعة.

بل جاء النهى له صلى الله عليه وسلم بالبعد عن نهج الملاينة والذي كان يطبقه معهم في كافة أحوالهم، قال تعالى [ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون]([[147]](#footnote-147)) وهو ما سبق الحديث عنه أنها مرحلة جديدة في التعامل معهم بعد استقرار أحوال المجتمع المدنى، وكشف حقيقة أمر المنافقين وولاء الناس للدين، واعتبارهم أقلية شاذة في المجتمع .

وفي حديث آخر قال تعالى [يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون.

سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ]([[148]](#footnote-148))

وهذه الآيات تأتى في السياق الجديد للتعامل مع المنافقين فلا قبول لأعذارهم، وقد كشف الله أخبارهم للناس فتولى الله سبحانه وتعالى أمرهم ليأخذوا جزائهم، وأكدت الآيات عدم قبول اعتذارهم، ولكن لابد من الإعراض عنهم([[149]](#footnote-149)) ثم توالت الآيات تكشف حال المنافقين من الأعراب وتحدد آلية التعامل معهم إلى أن قال تعالى [وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم ]([[150]](#footnote-150))

وقد جاء في معرض الحديث عن غزوة تبوك موعود الله سبحانه وتعالى للمسلمين بإعلان الحرب على ما اتخذه المنافقون مركزا لهم يتربصون للمسلمين الدوائر فيه، قال تعالى [والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ]([[151]](#footnote-151))

فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن رفض الصلاة فيه، ودعا عدد من المسلمين لهدم ذلك المسجد، تأكيدا للموقف الجديد منهم.

المصادر والمراجع

1. البخارى: أبو محمد عبد الله بن إسماعيل، صحيح البخارى، (بيروت:دار إحياء التراث الإسلامى، د- ت)، ج8، ص57.
2. البيهقى: أبو بكر بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1405ه/1985م)، ج3، ص402.
3. ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرانى، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، (د- م، عالم الكتب، 1403ه/1983م)، ص357.
4. ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ط1، (بيروت: دار العربية، 1398ه)، ج28، ص433.
5. ابن حجر: أحمد بن على العسقلانى، فتح البارى بشرح صحيح الإمام عبد الله بن محمد بن إسماعيل البخارى، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، د- ت)، ج7، ص356.
6. دروزة: محمد عزة بن عبد الهادى، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، (قطر: إدارة إحياء التراث الإسلامى، د- ت)، ج2، ص78.
7. السجستانى: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدى، سنن أبى داود، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية،د- ت)، ج2، ص91.
8. السعدى: عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: محمد زهرى النجار، (الرياض: المؤسسة السعيدية بالرياض، د- ت)، ج7، ص385.
9. الشيبانى: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مسند الإمام أحمد، ط2،(بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420ه- 1999م)، ج37، ص36، حديث رقم 22348.

10-الصالحى: محمد بن يوسف الشامى، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1414ه/1993م)، ج5، ص437.

11-الزرقانى: محمد بن عبد الباقى بن يوسف، شرح العلامة الزرقانى على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلانى، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1417ه/1996م)، ج2، ص1516.

12-القرطبى: أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ط2، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، 1373ه/1954م)، ج8، ص122.

13-قطب: سيد، في ظلال القرآن، ط6، (بيروت- القاهرة: دار الشروق، 1398ه/1978م)، ج1، ص516.

14-ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، ط10،(بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405ه/1985م)، ج3، ص264.

14-ابن كثير: عماد الدين ابو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ط2، (بيروت: مكتبة المعارف، 1977م)، ج4، ص51

15-ابن كثير، تفسير ابن كثير، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د- ت)،ج1، ص399.

16-ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، تحقيق: عبدالله على الكبير- محمد أحمد حسب الله- هاشم محمد الشاذلى، (القاهرة: دار المعارف، د- ت)، ج6، ص4508.

17-النووى: محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووى، ط23، (بيروت: دار الفكر، 1398ه/1978م)، ج17، ص124.

18-ابن هشام: أبو محمد عبد الملك الحميرى، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفي السقا- عبد الحميد الأبيارى- عبد الحميد شلبى،ط2، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، 14ه/2003م)،

ص494.

19-الواقدى: محمد بن عمر بن واقد، كتاب المغازى، تحقيق: مارسدن جونس، ط3، (بيروت: عالم الكتب، 1404ه/1984م)، ج3، ص1005.

فهرس الموضوعات

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| المسلسل | الموضوع | الصفحة |
| 1 | المقدمة | 1-2 |
| 2 | التمهيد | 3 |
| 3 | النفاق لغة | 3 |
| 4 | النفاق اصطلاحا | 3-4 |
| 5 | نشأة النفاق | 5 |
| 6 | هل يوجد النفاق في الأمة؟ | 6 |
| 7 | هل يعرف المنافقون بأسمائهم؟ | 7 |
| 8 | المنهج في التعامل معهم | 8-9 |
| 9 | موقف النبي صلى الله عليه وسلم من يهود بنى قينفاع | 10-11 |
| 10 | التناول القرآنى لأحداث غزوة بنى قينقاع | 12 |
| 11 | موقف النبي صلى الله عليه وسلم من أحداث غزوة أحد | 13-16 |
| 12 | التناول القرآنى لأحداث غزوة أحد | 16-18 |
| 13 | موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين في أحداث إجلاء بنى النضير | 19-20 |
| 14 | موقف القرآن من أحداث غزوة بنى النضير | 21-22 |
| 15 | موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين في أحداث غزوة الخندق | 23-25 |
| 16 | الموقف القرآنى من أحداث المنافقين في غزوة الأحزاب | 26-28 |
| 17 | موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين في أحداث غزوة بنى المصطلق | 29-32 |
| 18 | موقف القرآن من أحداث غزوة بنى المصطلق | 33 |
| 19 | موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين في حادثة الإفك | 34-35 |
| 20 | التحول المرحلى في معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين،(أحداث غزوة تبوك) | 36-45 |
| 21 | تناول القرآن لمواقف المنافقين في أحداث غزوة تبوك | 45-49 |
| 22 | المصادر والمراجع | 50-52 |
| 23 | فهرس الموضوعات | 53 |
|  |  |  |
|  |  |  |
|  |  |  |

1. () ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على ، لسان العرب، تحقيق: عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي (القاهرة: دار المعارف، د- ت)، ج6 ، ص4508 [↑](#footnote-ref-1)
2. () ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ص 4508 [↑](#footnote-ref-2)
3. () القرطبي: أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن، ط2، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، 1373ه/1954م)، ج8، ص122 [↑](#footnote-ref-3)
4. () ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د-ت)، ج1، ص399 [↑](#footnote-ref-4)
5. (5) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج1، ص48 [↑](#footnote-ref-5)
6. () ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج4، ،ص369 [↑](#footnote-ref-6)
7. () ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،ط1، (بيروت: دار العربية، 1398ه)، ج28، ص433 [↑](#footnote-ref-7)
8. () السعدى: عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: محمد زهرى النجار،(الرياض: المؤسسة السعيدية بالرياض، د- ت)، ج7، ص385

   (2)ابن رجب زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين. جامع العلوم و الحكم شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ص735(ط الرياض مكتبة الرياض الحديثة1382هـ) [↑](#footnote-ref-8)
9. [↑](#footnote-ref-9)
10. () البلاذري. أحمد بن علي. أنساب الأشراف ط ص286 تحقيق. د.حميد الله ....دار المعارف [↑](#footnote-ref-10)
11. (1) الزرقاني. محمد عبد الباقي. شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمديةط2 ص216 (بيروت دار الكتب العلمية 1417) [↑](#footnote-ref-11)
12. (2) البخاري. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري.تحقيق محمد علي قطب, صحيح البخاري(بيروت المكتبة العصرية 1417هـ) [↑](#footnote-ref-12)
13. (1) البخاري, صحيح البخاري, كتاب الاستئذان, باب: التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين و المشركين, رقم الحديث 6254 [↑](#footnote-ref-13)
14. (2)ابن هشام, السيرة النبوية, ص494 [↑](#footnote-ref-14)
15. () البخاري, صحيح البخاري, كتاب التفسير, باب:(ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) [↑](#footnote-ref-15)
16. (1)أبو داوود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي, سنن أبو داوود, تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: المكتبة العصرية, د- ت), كتاب الصلاة, باب في الاستعاذة, رقم الحديث 1546 [↑](#footnote-ref-16)
17. () البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن, ذكر الدجال, رقم الحديث 7124 [↑](#footnote-ref-17)
18. ()101سورة التوبة، الآية: 101 [↑](#footnote-ref-18)
19. () سورة النساء: الآية: 72 [↑](#footnote-ref-19)
20. () القرطبي,الجامع لأحكام القرآن, ج5,ص276 [↑](#footnote-ref-20)
21. () دروزة: محمد عزة بن عبد الهادي ، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم،(قطر: إدارة إحياء التراث الإسلام، د-ت)، ج2، ص78 [↑](#footnote-ref-21)
22. () سورة التوبة، الآية: 74 [↑](#footnote-ref-22)
23. () سورة الأحزاب، الآية: 60 [↑](#footnote-ref-23)
24. () سورة التوبة، الآية: 66 [↑](#footnote-ref-24)
25. () ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج1، ص50 [↑](#footnote-ref-25)
26. () ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج1، ص50 [↑](#footnote-ref-26)
27. () ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، (د-م، عالم الكتب، 1403هـ/1983م)ص357 [↑](#footnote-ref-27)
28. () ابن هشام، السيرة النبوية، ص842 [↑](#footnote-ref-28)
29. () ابن هشام، السيرة النبوية، ص842 [↑](#footnote-ref-29)
30. () ابن هشام ، السيرة النبوية ،ص 641 [↑](#footnote-ref-30)
31. ()ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري, الطبقات الكبرى, (بيروت: دار بيروت,1398هـ/1978م) ج2, ص29 [↑](#footnote-ref-31)
32. ()أبو داوود, سنن أبو داوود, كتاب الخراج والأمارة والفيء, باب: كيف كان إخراج اليهود من المدينة, رقم الحديث3001, قال الحافظ بن حجر: إسناده حسن, (ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني, فتح الباري بشرح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري, تحقيق: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز,(الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية, د.ت), ج7, ص332 [↑](#footnote-ref-32)
33. () ابن هشام ، السيرة النبوية ،ص 641 [↑](#footnote-ref-33)
34. () ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص 641 [↑](#footnote-ref-34)
35. عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري أحد النقباء ليلة العقبة ومن أعيان البدريين شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن بيت المقدس

    () سورة المائدة ،الآيات : 51, 52

    (2) ابن جرير الطبري. أبو حيف محمد بن جرير. ج4 ص2919. بتحقيق عبد الحميد مذكور ط(دار السلام.... 1430هـ)

    (3)ابن كثير, تفسير ابن كثير, ج2, ص69 [↑](#footnote-ref-35)
36. عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصاري السلمي أبو جابر أحد النقباء ليلة العقبة , شهد بدرا واستشهد يوم أحد , وقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم:((تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه)). (1)القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, ج6, ص216 (2)ابن هشام, السيرة النبوية, ص653, له شواهد على صحته, انظر, قريبي:إبراهيم بن إبراهيم, مرويات غزوة بني المصطلق, ط1, (بيروت: مؤسسةة الكتب الثقافية, 1413هـ/1993م) ص162 [↑](#footnote-ref-36)
37. () البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة, باب: المدينة تنفي الخبث, رقم الحديث 1884 [↑](#footnote-ref-37)
38. () ابن هشام، السيرة النبوية، ص 653, له شواهد على صحته, انظر (قريبي, مرويات غزوة بني المصطلق, ص162) [↑](#footnote-ref-38)
39. () ابن حجر, فتح الباري بشرح صحيح البخاري, ج7، ص356 [↑](#footnote-ref-39)
40. () سورة النساء الآية: 88 [↑](#footnote-ref-40)
41. () سورة آل عمران الآية: 122 [↑](#footnote-ref-41)
42. () البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي, باب: (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون) سورة آل عمران آية: 122, رقم الحديث 4052 [↑](#footnote-ref-42)
43. () سورة آل عمران الآية: 179 [↑](#footnote-ref-43)
44. () ابن حجر، فتح الباري، ج7، ص347 [↑](#footnote-ref-44)
45. () آل عمران الآية: 168 [↑](#footnote-ref-45)
46. () قطب: سيد، في ظلال القرآن، ط 6،(بيروت،القاهرة: دار الشروق، 1398ه/1978م)، ج1، ص516 [↑](#footnote-ref-46)
47. ()الطبري. تفسير الطبري. ج3ص1935,1934. ابن كثير، البداية والنهاية، ط2،(بيروت: مكتبة المعارف، 1977م)،ج4، ص51 [↑](#footnote-ref-47)
48. () ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج1 ، ص399 [↑](#footnote-ref-48)
49. () سورة آل عمران الآية: 118 [↑](#footnote-ref-49)
50. () قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص453 [↑](#footnote-ref-50)
51. () سورة آل عمران الآية: 154 [↑](#footnote-ref-51)
52. (1)القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, ج4,ص242,243 [↑](#footnote-ref-52)
53. (2)سورة آل عمران الآية: 167 [↑](#footnote-ref-53)
54. ()الطبري, تفسير الطبري ج3,ص2051,2052 [↑](#footnote-ref-54)
55. () ابن هشام، السيرة النبوية، ص757 [↑](#footnote-ref-55)
56. () الزرقاني ، شرح العلامة الزرقاني على المواهب أللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلاني, ط1 [↑](#footnote-ref-56)
57. (1)ابن سعد, الطبقات الكبرى, ج2, ص58 [↑](#footnote-ref-57)
58. (1)سورة الحشر الآيات: 13,12,11 [↑](#footnote-ref-58)
59. (2)الطبري, تفسير الطبري, ج10,ص7974,7973 ابن كثير, تفسير ابن كثير, ج4, ص341 [↑](#footnote-ref-59)
60. (1)سورة الحشر, الآية: 16 [↑](#footnote-ref-60)
61. (1)ابن كثير ,تفسير ابن كثير, ج4, ص341 [↑](#footnote-ref-61)
62. () ابن هشام، السيرة النبوية، ص777 [↑](#footnote-ref-62)
63. () ابن هشام، السيرة النبوية، ص 783 ، البيهقي: أبو بكر بن الحسين ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1405ه/1985م)، ج3، ص402 [↑](#footnote-ref-63)
64. () البيهقي، دلائل النبوة، ج3، ص402 [↑](#footnote-ref-64)
65. () سورة الأحزاب، الآية: 12 [↑](#footnote-ref-65)
66. () سورة الأحزاب، الآية: 13 [↑](#footnote-ref-66)
67. () السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج6، ص203 [↑](#footnote-ref-67)
68. (4)القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, ج14, ص148 [↑](#footnote-ref-68)
69. () سورة الأحزاب، الآية: 13 [↑](#footnote-ref-69)
70. () سورة الأحزاب، الآية: 13 [↑](#footnote-ref-70)
71. () سورة الأحزاب، الآية: 14 [↑](#footnote-ref-71)
72. () سورة الأحزاب، الآية: 15 [↑](#footnote-ref-72)
73. () سورة الأنفال، الآيات: 15/16 [↑](#footnote-ref-73)
74. () سورة الأحزاب، الآية: 16 [↑](#footnote-ref-74)
75. () سورة الأحزاب، الآية: 17 [↑](#footnote-ref-75)
76. (1)سورة الأحزاب الآية: 19,18 [↑](#footnote-ref-76)
77. (2)ابن كثير, تفسير ابن كثير,ج3, ص475, القرطبي,الجماع لأحكام القرآن, ج7, ص152,153 [↑](#footnote-ref-77)
78. (3)سورة الأحزاب الآية:20 [↑](#footnote-ref-78)
79. (4)ابن كثير, تفسير ابن كثير, ج3, ص475, قطب ,في ظلال القرآن,ج5, ص2841 [↑](#footnote-ref-79)
80. (1)الحرث بن ضرار: أبو مالك الصحابي هو حبيب بن عائد بن مالك بن حذيفة وهو المصطلق بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي المصطلقي أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنت الحارث وأسلم أبوها الحارث لما سبيت وجاء لفداءها [↑](#footnote-ref-80)
81. (2)ابن سعد, الطبقات الكبرى, ج2, ص63, الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير, تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, ط4, (القاهرة: دار المعارف, د.ت), ج2, ص604 [↑](#footnote-ref-81)
82. (3)كسع: الكسع هو الضرب باليد أو الرجل على دبر الإنسان. اللسان.ج , ص [↑](#footnote-ref-82)
83. () البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير, باب:(يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون), رقم الحديث4907 [↑](#footnote-ref-83)
84. () ابن هشام، السيرة النبوية، 841 , قال ابن حجر: حديث مرسل جيد, (ابن حجر, فتح الباري بشرح صحيح البخاري, ج8, ص649) [↑](#footnote-ref-84)
85. () ابن هشام، السيرة النبوية، ص840, قال ابن حجر: حديث مرسل جيد, (ابن حجر, فتح الباري بشرح صحيح البخاري, ج8, ص649) [↑](#footnote-ref-85)
86. (2)زيد بن أرقم رضي الله عنه من مشاهير الصحابة شهد غزوة مؤتة وغيرها قال ابن إسحاق: عن زيد بن أقم قال:كنت يتيما في حجر عبدالله بن رواحة فخرج بي معه إلى غزوة مؤتة مردفي على حقيبة رحله,وكان من أفاضل الصحابة علما وفقها وكان له مواقف مشهودة حيال من يشتم الصحابة رضي الله عنهم وخاصة من يشتم عليا رضي الله عنه مات سنة68هـ في الكوفة أيام المختار الثقفي. انظر(أسد الغابة) [↑](#footnote-ref-86)
87. () البخاري، صحيح البخاري،كتاب التفسير, باب: (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون), رقم الحديث 4904 [↑](#footnote-ref-87)
88. () ابن هشام، السيرة النبوية، ص842 [↑](#footnote-ref-88)
89. () ابن هشام، السيرة النبوية، ص842, قال ابن حجر: حديث مرسل جيد, (ابن حجر, فتح الباري بشرح صحيح البخاري), ج8, ص649 [↑](#footnote-ref-89)
90. () ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص357،358 [↑](#footnote-ref-90)
91. () سورة المنافقين، الآية: 7 [↑](#footnote-ref-91)
92. () سورة المنافقين، الآية: 8 [↑](#footnote-ref-92)
93. () القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص129 , الطبري. تفسير الطبري . ج7, ص8048,8047 [↑](#footnote-ref-93)
94. (1)البخاري , صحيح البخاري, كتاب المغازي, باب: حديث الإفك, رقم الحديث4141, القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, ص199 [↑](#footnote-ref-94)
95. (1)البخاري, صحيح البخاري, كتاب المغازي, باب: حديث الإفك, رقم الحديث4141 [↑](#footnote-ref-95)
96. (2)القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, ج12, ص199 [↑](#footnote-ref-96)
97. (1)سورة يوسف الآية : 18 [↑](#footnote-ref-97)
98. (2)البخاري, صحيح البخاري, كتاب المغازي, باب: حديث الإفك, رقم الحديث 4141 [↑](#footnote-ref-98)
99. [↑](#footnote-ref-99)
100. [↑](#footnote-ref-100)
101. (1)الترمذي. محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذي.تحقيق إبراهيم عطوه. خحديث رقم 3180(أحباء ....بيروت) [↑](#footnote-ref-101)
102. (2)ابن القيم الجوزية : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي, زاد المعاد في هدي خير العباد, تحقيق: شعيب الأرنؤوط عبد القادر الأرنؤوط, ط10, (بيروت: مؤسسة الرسالة, 1405هـ/1989م), ج3, ص264 [↑](#footnote-ref-102)
103. (1)سورة النور , الآية:11 [↑](#footnote-ref-103)
104. (2)سورة النور, الآية :11 [↑](#footnote-ref-104)
105. (1) ابن كثير. تفسير ابن كثير, ج3, ص73  [↑](#footnote-ref-105)
106. (2)المدودي: أبو الأعلى. تفسير سورة النور, ( بيروت. الشركة المتحدة للتوزيع, 1378هـ/1959م)ص123 [↑](#footnote-ref-106)
107. (3)سورة النور, الآية :11 [↑](#footnote-ref-107)
108. (4)سورة النور, الآية :12 [↑](#footnote-ref-108)
109. [↑](#footnote-ref-109)
110. [↑](#footnote-ref-110)
111. [↑](#footnote-ref-111)
112. [↑](#footnote-ref-112)
113. (1)ابن سعد, الطبقات الكبرى, ج2, ص165 [↑](#footnote-ref-113)
114. (2)ابن كثير, البداية والنهاية, ج5. ص2 [↑](#footnote-ref-114)
115. (3)البخاري, صحيح البخاري, كتاب المغازي, باب: حديث كعب بن مالك, رقم الحديث4418 [↑](#footnote-ref-115)
116. ()ابن كثير, البدية والنهاية, ج5, ص3 [↑](#footnote-ref-116)
117. () الصالحي، محمد بن يوسف الشامي, سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود, علي محمد عوض, ط1, (بيروت:دار الكتب العلمية, 1414هـ/1993م) ج5، ص438 [↑](#footnote-ref-117)
118. (2)البخاري, صحيح البخاري, كتاب المغازي, باب: حديث كعب بن مالك, رقم الحديث4418 [↑](#footnote-ref-118)
119. () البخاري، صحيح البخاري،كتاب التفسير, باب: (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات), رقم الحديث4668 [↑](#footnote-ref-119)
120. () ابن هشام، السيرة النبوية، ص1024 [↑](#footnote-ref-120)
121. () ابن هشام، السيرة النبوية، ص1026 , الطبري, تاريخ الطبري, ج3, ص104 [↑](#footnote-ref-121)
122. () البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي , باب: غزوة تبوك, رقم الحديث4416 [↑](#footnote-ref-122)
123. () الصالحى، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج5، ص442- 443’ الطبري, تاريخ الطبري, ج3, ص108 [↑](#footnote-ref-123)
124. (1)الجلاس: وهو الجلاس بن سويد بن الصامت, وكان ممن تخلف من المنافقين في غزوة تبوك, وكان يثبط الناس عن الخروج, الواقدي: محمد بن عمر بن واقد, كتاب المغازي, ط3,(بيروت عالم الكتب 1404هـ/1984م) ج3, ص1005 [↑](#footnote-ref-124)
125. () ابن كثير. تفسير ابن كثير, ج2, ص372 [↑](#footnote-ref-125)
126. (3)ابن كثير, تفسير ابن كثير, ج2, ص368 [↑](#footnote-ref-126)
127. () ابن كثير , البداية والنهاية,ج5, ص9, الطبري, تاريخ الطبري, ج3, ص106بإسناد حسن , انظر, السندي: عبد القادر حبيب الله . الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك,(المملمة العربية السعودية:محمد بن بكري السميري, د.ت) ,ج1, ص249 [↑](#footnote-ref-127)
128. () الواقدى، كتاب المغازى، ج3، ص1010 [↑](#footnote-ref-128)
129. ()الصالحى، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج، ص467 [↑](#footnote-ref-129)
130. ()الواقدى، كتاب المغازى، ج3، ص1044 [↑](#footnote-ref-130)
131. () ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص355 [↑](#footnote-ref-131)
132. () الدبيلة: سراج من النار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم،(البيهقى، دلائل النبوة، ج5، ص262 ) [↑](#footnote-ref-132)
133. () النووى: محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف ، صحيح مسلم بشرح النووى، ط3، ( بيروت: دار الفكر، 1398ه/1978م)، ج17، ص124 [↑](#footnote-ref-133)
134. () أبو عامر: وهو أبو عامر الفاسق الذي يقال له الراهب لعنه الله، وكان قد تنصر في الجاهلية، وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير. فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر، شرق اللعين أبو عامر بريقه، وبارز بالعداوة وظاهر بها.(ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج2، ص388-389 [↑](#footnote-ref-134)
135. () البيهقى، دلائل النبوة، ج5، ص263 [↑](#footnote-ref-135)
136. () سورة التوبة، الآية: 79 [↑](#footnote-ref-136)
137. () سورة التوبة، الآية: 81 - 82 [↑](#footnote-ref-137)
138. () ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج2، ص377 [↑](#footnote-ref-138)
139. () سورة التوبة، الآية: 61 [↑](#footnote-ref-139)
140. () سورة التوبة، الآيات: 62- 63 [↑](#footnote-ref-140)
141. () القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص61 [↑](#footnote-ref-141)
142. () سورة التوبة، الآية: 64 [↑](#footnote-ref-142)
143. () سورة التوبة، الآيات: 65 - 66 [↑](#footnote-ref-143)
144. () سورة التوبة، الآية: 80 [↑](#footnote-ref-144)
145. () سورة التوبة، الآية: 81 [↑](#footnote-ref-145)
146. () سورة التوبة، الآية: 83 [↑](#footnote-ref-146)
147. () سورة التوبة، الآية 84 [↑](#footnote-ref-147)
148. () سورة التوبة، الآيات: 94 - 95 [↑](#footnote-ref-148)
149. () ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج2، ص382 [↑](#footnote-ref-149)
150. () سورة التوبة، الآية: 101 [↑](#footnote-ref-150)
151. () سورة التوبة، الآيات: 107 - 108 [↑](#footnote-ref-151)